عزیز خانکی لیہ

خاطرات تاریخیہ

obeikandl.com

مقدمة

ختمنا هذه المجموعة من الرسائل بالرسالة الثامنة عشرة (سلام على ابراهيم) وهى الرسالة التى كتبناها لتنشر يوم الاحتفال بالذكرى المئوية لوفاة البطل ابراهيم باشا ابن محمد على الكبير . وكان من الطبيعى نشرها فى أول الكتاب .

أما باقى الرسائل « فخاطرات تاريخية » منها خمس رسائل ـ وهى الرسالة الاولى والثانية والثالثة والسادسة عشرة والسابعة عشرة - أملتها علينا حوادث فلسطين فذكرتنا بسوابق تاريخية لكل حادثة .

والرسالة الرابعة مقارنة بين حياة تحوتمس الثالث فرعون مصر ومحمد على باشا الكبير .

والرسالة الخامسة بيان بالاحتفالات التى أقيمت لذكرى مرور الف سنة على مولد الفردوسى . ومولد ابن سينا . ومولد سعدى الشيرازى . ووفاة شكسبير أعظم شعراء انجلترا فى القرن السادس عشر . ووفاة فيكتور هوجو أكبر شعراء فرنسا فى القرن التاسع عشر - واحتفالات اخرى كثيرة . وبعدها عطفنا على النداء الذى نشرناه فى جريدة « الاهرام » فى ٢٢ يونيه سنة ١٩٣٣ وفيه ناشدنا مصر - حكومة وشعباً - بالاحتفال بمرور ١٠٠٠ سنة على بناء مدينة القاهرة وتأسيس الجامع الأزهر .

والرسالة السادسة خاصّة بوجوب الانتفاع بالأراضى البور المرتفعة التى تحيط بجبل المقطم بالطريقة التى اتبعها الامبراطور اغسطس l'empereur Auguste للانتفاع بالأراضى المرتفعة الواسعة القريبة من مدينة نيم Nimes بفرنسا .

والرسالة السابعة كلام على سيدنا آدم وسيدنا نوح وسيدنا موسى وسيدنا يسوع المسيح وسيدنا محمد .

والرسالة الثامنة توازن بين جهاد الأمير عبد القادر الجزائرى والأمير عبد الكريم المراكشى .

والرسالة التاسعة كلام على المياه الصالحة للشرب ووجوب توفيرها لأهالى الريف والطريقة التى اتبعتُها فى مزرعة لى وأتت بأحسن النتائج .

والرسالة العاشرة نبذة تاريخية على تملك الأجانب أراض فى مصر وفى تركيا .

والرسالة الحادية عشرة كلام على معرفة جنس المولود قبل الوضع ان كان ذكراً أو أنثى وتذكير الجنين قبل ولادته . شفعناه ببيان أصل تلقيب أولياء العهد فى انجلترا وفرنسا واسبانيا وايطاليا ومصر بألقاب خاصّة .

والرسالة الثانية عشرة خاصة بحظّ بعض الأعداد - مثل عدد ٢٣ أغسطس وعدد ٦ بالنسبة الى بعض الاسر الكريمة فى مصر وفى فرنسا ، وعدد ١١ وعدد ٢ ديسمبر بالنسبة الى بعض الحوادث التاريخية.

والرسالة الثالثة عشرة فيها مقارنة بين جلاء الانجليز عن مصر وجلاء الانجليز عن فرنسا بعد سقوط نابليون وجلاء الانجليز عن ثغر كاليه Calais فى زمن مارى تودور ملكة انجلترا .

والرسالة الرابعة عشرة خاصّة بتهافت الأجانب فى هذا الزمن على طلب التجنس بالجنسية المصرية بعد ان كان المصريون من ٨٠ سنة يتهافتون على طلب التجنس بالجنسية الأجنبية .

والرسالة الخامسة عشرة وصف المزرعة الملكية فى انشاص .

عزيز خانكى

خاطرات تاريخية

١

١ - قال دولة السيد مزاحم الباجه جى رئيس وزراء العراق لمندوب الاهرام بعد انتهاء اللجنة السياسية من احدى جلساتها (أرجو أن نتلاقى قريبا جدًا فى تلّ أبيب) ولولا تدخّل الدول الغربية وضغطها على الدول العربية لا كتسح الجيش العراقى العصابات الصهيونية ا كتساحا ولكانت تلّ ابيب فى خبر كاد أن لم تكن فى خبر كان ولتحقّق قول رئيس وزراء العراق .

وتنبؤ رئيس وزارة العراق يذكرنى بخمس سوابق تاريخية :

الاولى - حدثت فى غروب يوم ٢٣ يونيه سنة ١٨٣٩ . ذلك انه قبل تلاحم الجيش المصرى بقيادة البطل ابراهيم باشا والجيش العثمانى بقيادة حافظ باشا السر عسكر فى موقعة « نزيب » المشهورة فى يوم ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ دعا سليمان باشا الفرنساوى رئيس أركان حرب الجيش المصرى كبار الضباط الى خيمته وبعد ما زوّدهم بالأوامر والنصائح والارشادات قال لهم (أذن الى اللقاء فى الغد الساعة الثالثة بعد الظهر فى خيمة حافظ باشا . أدعوكم من الآن لنتناول القهوة معا) . وقد كان . أذ انه بعدما انتصر الجيش المصرى اجتمع الكل فى خيمة حافظ باشا ومنها أرسل البطل ابراهيم باشا الى على بك برهان خازنداره فى مصر يبشّره بالنصر ويقول له (قد كتبت اليك هذه الكلمات وأنا فى خيمة حافظ باشا سر عسكر الجيش العثمانى وقد وجدتها كما تركها حافظ باشا تماما)

الثانية - لما استفحل الخلاف بين السلطان محمود ومحمد على باشا على أثر استيلاء الجيش المصرى على ثغرى يافا وحيفا أراد السلطان أثارة الرأى العام ضد محمد على باشا فألف مجلسا كان مفتى الاستانة من أعضائه . أعلن المجلس فى ٢٣ ابريل سنة ١٨٣١

تمرد محمد على وقرر عزله من الولاية على القطر المصرى وتعيين حسين باشا مرداراً ووالياً على مصر وجزيرة كريد والحبشة . وحسين باشا هذا كان (حمالا) ثم انضم الى الانكشارية وأخذ يكيد ويدس الى ان انتخبوه زعيما إلاّ أن السلطان استمالة وعهد إليه أمر الفتك بالانكشارية (كما فعل محمد على باشا بالمماليك) فجمعهم فى « آت ميدان » Hippodrome باستانبول وفتك بهم ولم يذر منهم أحدا . والرجل مغرور جداً . قيل له فى أثناء زحفه على مصر « أن حصانه انقطع عن شرب الماء » فأجاب بكل وقاحة « أن حصانه آلى على نفسه أن لايشرب إلا من مياه النيل ». إلاّ ان الله خيب أمله وهزمه الجيش المصرى فى بيلان فى ٣٠ يوليه سنة ١٨٣٢ .

الثالثة - لما طلب محمد على باشا الكبير من والى عكا عبد الله باشا اعادة الستة آلاف فلاّح الذين كانوا هاجروا من مصر وآواهم والى عكا عنده أجابه والى عكا « ان المصريين هم عبيد السلطان شأنهم عندى كشأنهم عندك فان شئت أخذهم فاستصدر أمراً من السلطان وأنا أردهم اليك » فاغتاظ محمد على باشا من هذا الجواب الخشن وأرسل اليه يقول : « سأحضر لأخذ الستة آلاف (وواحداً زيادة) ». ويقصد بالواحد الزيادة عبد الله باشا نفسه . وقد صدق فى قوله إذ وقع عبد الله باشا أسيراً فى قبضة ابراهيم باشا وأرسله الى والده محمد على باشا الكبير .

الرابعة - وفى معركة واترلو Waterloo عندما رجحت كفة نابليون وكاد يسحق جيش ولنجتون قائد الجيش الانجليزى التفت نابليون الى أحد القواد الفرنساويين وقال له (سنبيت اليوم فى بروكسل) عاصمة بلجيكا . إلاّ ان الله خيّب ظنه إذ ظهر فى ساحة الوغى الجيش البروسى تحت قيادة الجنرال بلوخر وبانضمامه الى الجيش الانجليزى رجحت كفة الحرب للحليفتين وانتهت المعركة بانكسار نابليون وانهيار عرشه وأمبراطوريته .

الخامسة - حدثت فى خلال سنة ١٨٩٩ فى عهد الملكة فيكتوريا عندما أعلنت انجلترا الحرب على جمهورية الترنسفال وسيّرت جيشا تحت قيادة الجنرال بولر لاخضاع البوير سكان الترانسفال وكلمة « البوير » معناها « الفلاحين » . فوهم بولر ومن لفّ

لفه أنه يمكنه اخضاع « فلاحى » الترنسفال فى بضعة أشهر وبنفقة لا تزيد على خمسة ملايين من الجنيهات ورسخ هذا الوهم فى عقول الانجليز حتى أنهم وصفوا الحملة بأنها « نزهه عسكرية » .

ولوثوق الجنرال بولر بالنصر السريع وصّى صديقاً له فى لندن بأن يرسل إليه بضعة صناديق شمبانيا وويسكي بعنوانه فى (بريتوريا عاصمة الترنسفال) على أن تصل اليه قبل عيد الميلاد فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٩٩ ليحتفل بالعيدين : عيد النصر وعيد الميلاد . إلا أن الله خيب ظنه ونصر البوير على الانجليز فى عدّة وقائع . ولما رأت انجلترا ان الحرب طالت أقالت الجنرال بولر وجيّشت جيشاً لجبا أرسلته تحت قيادة لورد روبرتس بصفته القائد العام ولورد كتشنر بصفته رئيس أركان حرب ، وكان البوير ٢٠٫٠٠٠ والانجليز ٢٠٠٫٠٠٠ وبعد سنتين ونصف استسلم البوير ولكن بعد ما خسر الانجليز ٢١٫٠٠٠ قتيل و ٢٠٫٠٠٠ جريح وبعدما أنفقت انجلترا ٢٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه علاوة على ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه دفعتها تعويضات للأهالى .

* * *

٢ - كان هذا فى يوم ١٨ يونيه سنة ١٨١٥ عندما اشتبك الجيش الفرنساوى بقيادة نابليون بجيش انجلترا بقيادة ولنجتون فى واترلو (بلجيكا) وكاد النصر يبتسم لنابليون لولا وصول جيش بروسيا بقيادة الجنرال بلوخر الذى انضمّ الى الجيش الانجليزى وانتهت المعركة بهزيمة نابليون هزيمة دقّت فى نعش أمبراطورية المسمار الأخير . انهارت أمبراطوريته الضخمة فى بضع ساعات بعدما شادها فى خمس عشرة سنة انتصر فيها على دول اوربا فى ٤٠ معركة . ولعلّ معركة واترلو أعظم معركة غيرت التاريخ وقلبت وجه الأرض . تناقلتها ألسنة المؤرخين وأسنة أقلامهم جيلا بعد جيل وسوف تتناولها ألسنتهم وتتداولها أقلامهم الى يوم الدين .

لما لم يبق شك فى ثبوت الغلبة للأنجليز أحدق الجيش الانجليزى باحدى فرق (الحرس) الفرنساوية وكانت على آخر رمق من الجهد فطلب القائد الانجليزى من القائد الفرنساوى لفرقة (الحرس) التسليم . ومعنى التسليم هنا البقاء أو الفناء .

فأجابه الجنرال الفرنساوى كامبرون Cambronne قائد الحرس) الفرنساوى بكلمته الرائعة الخالدة (الحرس يفضّل الموت على التسليم) La garde meurt et ne se rend pas وستبقى هذه الكلمة بمعنييها الحقيقى والمجازى مكتوبة فى سجل الخلود الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولهذه الكلمة الخالدة التى نطق بها قائد فرنساوى فى سنة ١٨١٥ سابقة تاريخية نطق بها قائد تركى فى سنة ١٨٣٩ . ذلك انه لما التحم جيش محمد على باشا الكبير بجيش السلطان محمود فى وقعة « نزيب » المشهورة فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ أحدقت قوّة مصرية كبيرة بآلاى من آلايات (الحرس) السلطانى وضيقت عليه الخنّاق حتى لم يبق للآلاى التركى أمل فى النجاة : اما الحياة بالاستسلام بلا قتال أو الموت باستمرار الطعن والنزال . رأى قائد القوّة المصرية حقنا للدماء أن يعرض على قائد الآلاى التركى التسليم فأجابه البطل التركى بمثل ما أجاب البطل الفرنساوى من قبل (عساكر شاهانه مماتنده دخى توفنكنى يره قويماز) ومعناها (ان العساكر السلطانية يموتون ولا يسلمون) .

فكان جواب سنة ١٨٣٩ مثل جواب سنة ١٨١٥ رائعاً خالداً [١].

---

(١) كتبنا هذه الكلمة فى « الاهرام » عدد ٣٠ يوليه سنة ١٩٤٨

١- بسط نابليون سلطانه على ممالك ألمانيا وايطاليا واسبانيا وبلجيكا وهولنده وقهر امبراطور النمسا وقيصر روسيا وملك بروسيا وامتدّت فتوحاته من أقصى أوروبا شرقاً إلى أقصاها غرباً ومن أقصاها جنوباً إلى أقصاها شمالا . دوّخ انجلترا وزلزل عرشها وكان كبير وزرائها فى ذلك العهد وليم بيت Pitt عدوّ نابليون نمرة ١. فألّب دول أوروبا عليه وأمدّها بالمال والرجال والعتاد وانفق فى سبيل ذلك ٨٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه ذهبا وهّاجاً فاضطربت ماليتها وتصدّعت هيبتها . وبينما الناس يلغطون في مستقبل انجلترا هبطا أو غبطا اشرأب وليم بيت وخطب فقال : (لايساورنى أدنى خوف على مستقبل انجلترا . ستبقى انجلترا ثابتة على قدميها قابضة على صولجان البرّ والبحر إلى يوم القيامة)

ودار الفلك . . . . وإذا صولجان البحر يطير من يدها ويستقرّ فى أمريكا . وصولجان البرّ يطير من يدها ويستقرّ في روسيا .

٢ – ولما فاز نابليون ببايعته امبراطوراً على فرنسا قال فى أول ديسمبر سنة ١٨٠٤ (سوف تحتظ ذريتى بهذا العرش أمداً مديداً) [1] .

ودار الفلك . . . . وبعد عشر سنوات هزمه الحلفاء فى واقعة لا يبسج Leipzig بالمانيا واكره على التنازل عن العرش .

٣- بعد أن توّج نابليون امبراطوراً على فرنسا كتب فى مذكراته بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٨٠٥ (بعدما وضعت التاج على رأسى قلت ان الله أعطانى هذا التاج فيا ويل من يجرؤ على مسّه . عسى أن يكون قولى هذا نبوءة) . قال هذا فى سنة ١٨٠٥

ودار الفلك . . . . وبعد عشر سنوات سقط التاج وانهارت امبراطورية نابليون

٤ – وفى سبتمبر سنة ١٩٣٩ غزا هتلر بولونيا ثم احتلّ ثغر دانزج (الذى كان سبب نشوب الحرب العالمية الأخيرة) وبعد ما ثبّت هتلر قدميه فى دانزج خطب فى جمع حافل بمائة ألف شخص وقال (اعلن ضم دانزج إلي ألمانيا . دخلناها واحتللناها وسنبقى فيها ألف سنة) .

---

(١) "Mes descendants conserveront longtemps ce trône"

ودار الفلك . . . . ومرت خمس سنوات وإذا الروس يطردون هتلر وجيوشه من بولونيا ومن دانزج والحلفاء يطردون الألمان من ألمانيا .

٥ - لما وصل الجنرال روميل الالمانى الى العلمين في أواخر اكتوبر سنة ١٩٤٢ وضع منظاره الحربى على عينيه وقال (سأمتع أنظارى بمرأى القاهرة من أعلى الأهرام ومن خلال هذا المنظار) .

ودار الفلك . . . . واذا روميل ينهزم شرّ هزيمة فى العلمين ويتقهقر الجيش الألمانى ٢٠٠٠ كيلو متر من العلمين الى برقة الى تونس وينقلب روميل من أفريقيا الى اوروبا ثم يموت - منتحراً أو مقتولا - ويقع منظاره في يد عربى فيهديه الى القائد فوزى باشا القاوقجى .

٦ - وبعد حرب السبعين وانتزاع الألمان مقاطعتى الالزاس واللورين من فرنسا خطب الماريشال مولتكى Moltke فى البرلمان الألمانى وقال ان ما أخذناه بحدّ السيف فى ستة أشهر سنحتفظ به الى يوم الدين ولو كافحنا خمسين سنة حتى لا يجرؤ أحد على انتزاعها منا :

"Ce que nous avous obtenu en six mois par la force des armes nous aurons à le défendre pendant un demi siècle par les armes afin que nul ne puisse nous l'arracher.,

ودار الفلك . . . وجاءت حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ واستردت فرنسا الالزاس واللورين ولا تزال محتفظة بهما الى اليوم

٧- وفى ٤ مايو سنة ١٩٠٧ خطب لورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر فى دار الأوبرا ودّع بها مصر والمصريين وقد قال فى خطبته من ضمن ما قال متعجرفاً متغطرساً (ان الاحتلال البريطانى فى مصر سيدوم الى ما شاء الله . وقد قالت لنا حكومة جلالة الملك ذلك رسمياً) .

ودار الزمن دورته - وما أسرع دورة الزمن - واذا مصر تعلن فى سنة ١٩٢٢ استقلالها. وتعلن فى سنة ١٩٣٦ الغاء الامتيازات الأجنبية. ويجلوا الانجليز عن مصر فى سنة ١٩٤٧ ويتلاشى الاحتلال الذى أكد لورد كرومر « أنه سيدوم الى ما شاء الله»!!

٨ - لما استولى ابراهيم باشا على قلعة عكا الحصينة حضر الوجهاء والعظماء لتهنئته على هذا الفتح العظيم فقال لهم ابراهيم (سأذهب في فتوحاتى إلى حيث تنتهى البلاد التى يتكلم أهلها اللغة العربية) وقد صدق فيما وعد

٩- وفى سنة ١٩٣٩ اجتاحت جيوش هتلر أرض فرنسا وشرّدت جيوشهاشذر مذر واحتلّت باريس وأعلن هتلر ضم مقاطعتى الالزاس واللورين الى المانيا و بسط سلطانه على جميع مقاطعات فرنسا الشمالية . ولما خارت قوى فرنسا ألقت سلاحها وأسلمت أمرها إلى الله . انتهزت إيطاليا فرصة انهيار فرنسا وسقوطها صرعى مضرجة بدماء أبنائها وطعنتها من الخلف وزحفت على مقاطعاتها الجنوبية المتاخمة لها واحتلّتها ولما تكتف بذلك بل طمعت وطلبت ضمّ تونس (حماية فرنسا) وجزيرة كورسكا (مسقط راس نابليون) والسافواى بما فيها مدينة نيس الجميلة (وهى مقاطعة من مقاطعات فرنسا) . وقام فاريتشى الصحفى الايطالى المشهور ساعد موسولينى الأيمن وزعيم الفاشست نمرة ٢ وعدو فرنسا نمرة ١ وكتب مقالة من قار ونار وجّهها إلى الفرنساويين قال لهم فيها (والآن أيها الانذال خروا للأذقان سجداً أمامنا . ستبقون ركعا داخرين أبد الآبدين ودهر الداهرين) .

ودار الفلك . . . . وبعد أربع سنوات - اربعة فقط - اعدم موسولينى زعيم إيطاليا نمرة ١ رمياً بالرصاص . واعدم الكونت شيانو زوج بنتـه رمياً بالرصاص . واعدم فاريتشى زعيم الفاشست نمرة ٢ رمياً بالرصاص . وسقط العرش وانهـارت الامبراطورية الايطالية واحتلت جيوش الحلفاء إيطاليا من أقصاها شمالا الى أقصاها جنوباً وطردت ايطاليا من بلاد الحبشة ومن البانيا ومن ليبيا ومن اريتريا ومن الصومالى . فكان مثل ايطاليا كمثل النعامة ذهبت تطلب قرنين فرجعت بلا أذنين .

١٠-وفي ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ أعلنت شرذمة من الصهيونيين قيام دولة اسرائيل وسرعان ما اعترف بها ترومان رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية واذا موسى شرتوك أحد زعماء الصهيونيين يعلن من تل أبيب بأن (دولة اسرائيل قامت وستقوم الى يوم الساعة) .

ودار الفلك . . . . وفى ثلاثة أسابيع طوّقها العربى ضرّاب السيوف وشرّاب الحتوف . واذا تلّ أبيب التى أرادوها قصوراً أرادها العربى قبوراً . واذا اسرافيل ينادى عزرائيل ان اطرد بنى اسرائيل : (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) .

صدق ابن سينا عندما قال وتقدرون فتضحك الأقدار

قلنا كل هذا لصهيونى فصهين ! ! ! [1]

---

(١) كتبنا هذه الكلمة فى جريدة «الاهرام»

obeikandl.com

٣

١ - مدّ صهيونى يده الى عربى يريد مصافحته فرفض العربى أن يضع يده فى يد الصهيونى .

يذكرنى هذا الشمم العربى بسابقة .ذلك انه تصادف وجود فيكتور هوجو شاعر فرنسا الأكبر فى فندق بسويسرا وكان الماريشال مولتكى الالمانى - الذى قاد الجيوش الالمانية فى الحرب التى نشبت بين فرنسا والمانيا فى سنة ١٨٧٠ وانتهت بانتصار المانيا على فرنسا - نازلا فى الفندق نفسه . فلما علم الماريشال الالمانى بوجود الشاعر الفرنساوى فى الفندق حاول غير مرّة أن يتعرّف به فلم يوفق . انتهز وجود فيكتور هوجو فى المطعم وأرسل اليه رسولا يقول له (الماريشال مولتكى موجود هنا ويسرّه أن يجتمع بك) فأجابه هوجو (قل لمسيو مولتكى بأنى أرفض مقابلته) فكان رداً جمع الكثير من المعنى فى قليل من اللفظ . وضرب هوجو برفضه هذا أروع الأمثال على أنبل الاباء والشمم .

ذاع رفض هوجو مقابلة الماريشال وبعد بضعة أيام ترك مولتكى الفندق وهو يتلظى من شدّة اغتياظه دون أن يشعر به أحد .

أسرّ مولتكى هذه الاهانة فى نفسه الى أن حانت له فرصة فى خلال سنة ١٨٧٥ - أى بعد أربع سنوات من انتهاء حرب سنة ١٨٧٠ - لاعلان الحرب على فرنسا ليسحقها سحقاً حتى لا تقوم لها قائمة أبداً ولا بعد الأبد ان كان بعده بعد ، إلاّ ان اسكندر الثانى قيصر روسيا وفيكتوريا ملكة انجلترا هددتا المانيا بدخول الحرب مناصرتين لفرنسا اذا نفذت فكرة مولتكى وبسمارك . فرجعت .

ومع ان حدود المانيا تتاخم حدود فرنسا وكان من الطبيعى أن تكونا جارتين صديقتين إلا أن العداء الذى كان مستحكما باعد بينهما وجعل التخوم أبعد ما بين قطب الشمال من قطب الجنوب . بقى العداء بين فرنسا والمانيا يطرد في الزيادة كل واحدة تدعو الله أن يزيل زوال الأخرى.ثم دار الزمن دورته . . . واذاعجاج الحرب

يثور بينهما فى سنة ١٩١٤ فتثأر فرنسا من المانيا وتسترد مقاطعتى الألزاس واللورين .

والماريشال مولتكى هذا دانماركى الاصل ولما بلغ سن الثمانى عشرة تجنس بالجنسية الالمانية . حذق الفنون الحربية ومهر فيها وعرف غوامضها ودقائقها وذاع صيتـه فى أوروبا . ولما سمع به السلطان محمود الثانى استقدمه واستخدمه - وكان عمره ٤٠ سنة - لمحاربة جيوش محمد علي الكبير التى كانت تحت قيادة ابنه البطل ابراهيم وانتصر على جيوش السلطان فى فلسطين وفى سوريا وفى الاناضول . فكان مولتكى الالمانى رئيس أركان حرب السر عسكر حافظ باشـا القائد العـام لجيوش السلطان محمود كما كان الكولونيل سيف الفرنساوى رئيس أركان حرب جيش محمد على باشا . وعلى الرغم مما وضعه مولتكى من خطط حربية محكمة وما بذله من نصح وارشـاد فان ابراهيم باشا انتصر على جيوش السلطان انتصاراً باهراً فى واقعة « نزيب » المشهورة فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ .

ومن غريب أمر مولتكى انه وهو جنرال المانى حارب الدانمارك - وطنه الاصلى - فى خلال سنة ١٨٦٤ ولما انتصر انتزع من بلاده الاصلية مقاطعتين هما شليزوج وهولشتاين وضمهما الى بروسيا عدوة بلاده .

* * *

وقع اعرابى من أهل العراق أسـيراً وكان من أئمة البلغـاء فلما مثل أمام الحجاج سأله عن أهل العراق فقال أعلم الناس بحق و باطل . قال فأهل الشام . قال أطوع الناس لخلفائهم . قال وأهل فارس . فقال أهل بأس شديد وشر عتيد . قال فأهل مصر . قال « عبيد من غلب » . هذا ما كان فى زمن الحجاج .

وفى زمن سلاطين آل عثمان كان أهل مصر وفلسطين وسوريا والعراق وشرق الأردن واليمن والحجاز خشّعاً خضّعاً للسلاطين وكان السلطان اذا كتب لوالى مصر يقول عن أهل مصر (عبيد بابنا العالى) ألا ترى انه لما شكا محمد على باشا الى السلطان من رفض والى عكا اعادة الستة آلاف فلاّح مصرى الذين خرجوا من مصر وآواهم عبد الله باشا والى عكا أجابه السلطان « ان الفلاحين المصريين هم عبيد بابنا العالى لا عبيدك . لهم حرية الاقامة حيث يريدون »

ودارت عجلة الزمان . . . واذا مصر الآن فى طليعة الطليعة بين البلاد العربية وقطب رحى بلاد الشرق كلها. لها جيش برّي واسطول بحرى واسطول جوّى . ولها سفارات ومفوضيات فى جميع عواصم بلاد اوروبا وآسيا وامريكا - تخطب ودّها انجلترا وفرنسا وأمريكا وايطاليا وغيرها من ممالك وجمهوريات العالمين القديم والحديث. واذا ما خاطب امبراطور أو ملك أو رئيس جلالة ملك مصر قال « أخى فاروق » .

حقاً ان الدهر قلّب [1] .

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة « الاهرام » ١٣ يوليه سنة ١٩٤٨

لا أدرى من هو ذلك المؤرخ الذى خلع على محمد على باشا الكبير لقب « فرعون العصر الحديث »

انى أميل الى الاعتقاد بأن ذلك المؤرخ كان يقصد تشبيه محمد على بتحوتمس الثالث فرعون مصر . ألم يطلق بعض المؤرخين على محمد على لقب «نابليون الشرق» كما أطلقوا على تحوتمس الثالث لقب « نابليون المصرى»[1] .

ولعلهم لقبوا تحوتمس الثالث ومحمد على باشا بلقب (نابليون) لأن سياستهما الحربية كانت تدور حول النظريتين اللتين اشتهر بهما نابليون عندما كان ينوى محاربة عدوه ، وهما السرعة والمفاجأة . لا يمهل عدوه حتى يستعد ويجئ إليه ، بل يسرع هو بتجهيز جيشه بسرعة البرق ، ثم ينقض كالصاعقة على جيش عدوه فيسحقه سحقا قبل أن يستعد

حدث أن ملك الميتانى (شرقى الفرات) وملك قادش اللذين كانا رابضين فى أحضان النهرين (دجلة والفرات) وأمراء بلاد زاهى (غربى الشام) حرضوا أهالى فلسطين على الثورة ورفع لواء العصيان . فما كاد هذا النبأ يتصل بتحوتمس حتى قرر تأديب الملوك والأمراء والشعوب الذين شقوا عصا الطاعة . أسرع وجهز جيشاً كبيراً في ثلاثة أشهر زحف به من مدينة ثارو (القنطرة) فوصل إلى غزة فى تسعة أيام قطع فى خلالها ١٦ ميلا . وعلى الرغم من اتفاق وصوله إلى غزة يوم عيد تتويجه - لمناسبة مرور ٢٢ سنة على استوائه على العرش - لم يعبأ بالاحتفالات التى أقيمت له وواصل سيره بسرعة البرق إلى أن وصل إلى جبل الكرمل فوجد الحلفاء قد احتلوا «مجدو» وكانت قلعة حصينة هى مفتاح لبنان وبلاد الفرات فدك حصونها واحتلها وهزم أعداءه قبل أن يستعدوا للقتال . ويقول الخبيرون ان الاستيلاء على « مجدو » كان يعدل الاستيلاء على ألف مدينة .

---

(١) كما سموا سسل رود « نابليون افريقيا الجنوبية » ، وسموا انور باشا « نابليون الصغير »

وهكذا كان يفعل نابليون ومحمد على فى حروبهما التى اشتهرت فى التاريخ بأنها « حروب خاطفة »

ألم يتحرك جيش محمد على من مصر فى ١٤ اكتوبر سنة ١٨٣١ وفى ٨ نوفمبر احتل يافا . وفى ١٣ نوفمبر احتل حيفا . وفى ٥ ابريل احتل طرابلس . وفى ١٤ ابريل احتل سهل الزراعة . وفى ٢٧ مايو احتل عكا . وفى ١٣ يونيو سنة ١٨٣٢ احتل دمشق . وفى ٨ يوليه احتل حمص . وفى ١٠ يوليه احتل حماه . وفى ١٤ يوليه احتل حلب . وفى ٣٠ يوليه احتل بيلان . ثم احتل طرسوس فاطنه فقونيه ، ثم كوتاهيه فازمير

توالت انتصارات جيش محمد على بسرعة تدعو الى الدهش

هكذا كان يفعل نابليون . ألم يسحق جيوش النمسا وينتصر عليها فى سبع وقائع فى خمسة عشر يوماً ؟ ألم يبلغ عدد المعارك التى نازل فيها النمساويين فى سنة وبضعة أشهر ٧٠ معركة ؟ ألم يقطع هو وجيشه المسافة بين بافاريا وعاصمة النمسا فى ثلاثة أسابيع . ألم يهزم بلوخر القائد البروسى فى ست وقائع خلال تسعة أيام ؟ ألم يقطع المسافة بين درسدن وباريس فى خمسة أيام وعندما غزا فلسطين قطع ٧٠ كيلو متراً فى ١٥ ساعة ؟

ألا تصدق على الجنود المصريين فى عهد تحوتمس الثالث فرعون مصر وعلى الجنود الفرنساويين فى عهد نابليون وعلى الجنود المصريين فى عهد محمد على باشا كلمة قالها أمير أورانج Le prince d'Orange عندما فاجأه الماريشال دى لوكسمبورج Maréchal de Luxembourg - قائد الجيش الفرنساوى فى سنة ١٦٩٦ - قبل أن يستعد للقتال (كنت أعرف ان الفرنساوى له ذراع ولكن ما كنت أعرف أن له أجنحة) .

- ان تحوتمس الثالث كان من أعظم فراعنة الأسرة الثامنة عشرة التى حكمت مصر مدة ٢٣٠ سنة من سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد الى سنة ١٢٤٠ . قبل تولى تحوتمس حكم مصر ما كان للأمبراطورية وجود . وقبل تولى محمد على حكم مصر ما كان للأمبراطورية المصرية وجود (كما وجدها محمد على)

- وقبل تولى تحوتمس الثالث - ومن عهد تحوتمس الأول - ما كانت الجيوش

المصرية جاوزت حدود مصر . وقبل تولى محمد علي باشا حكم مصر ، ومن عهد على بك الكبير - ما كانت الجيوش المصرية جاوزت حدود مصر .

- تحوتمس الثالث غزا بلاد النوبة وفلسطين وسوريا ووصل الى بلاد النهرين (دجلة والفرات) وخضع له ملك قبرص وضم الواحات الغربية الى الأمبراطورية المصرية . ومحمد على غزا جزيرة العرب والسودان وفلسطين وسوريا والأناضول وجزيرة كريت وضم واحة سيوه الى مصر (بتجريدة تحت امرة حسن الشماشرجى فى سنة ١٨٢٠)

- قبل تولى تحوتمس الثالث حكم مصر ، كان أمراء الولايات السورية وغير السورية قد انتهزوا ضعف الدولة المتبوعة (مصر) وتمردوا ورفضوا دفع الجزية . وقبل تولى محمد على حكم مصر انتهز باشوات عكا وبغداد واشقودرا . ضعف الدولة المتبوعة (تركيا) ورفضوا دفع الجزية وثاروا على السلطان

- وغزوات وفتوحات تحوتمس الثالث توالت متتابعة . سبع عشرة غزوة فى خلال تسع عشرة سنة . توجها بالنصر العظيم على أعدائه فى واقعة قرقميش على نهر الفرات ، ودوت انتصاراته فى آسيا فحملت ملوك وأمراء الحيثيين والأشوريين وغيرهم على كسب عطف فرعون مصر فأرسلوا إليه الرسل والهدايا الفاخرة عربونًا على ولائهم

ولم تقف سيادة مصر على البر ، بل بسط تحوتمس سيادة مصر على البحر أيضاً . فالدول البحرية مثل قبرص وكريت وجزر بحر ايجه راعها قوة الأسطول المصرى فحسبت له ألف حساب وصارت مصر من الدول البحرية ذات الشأن . وما فعله تحوتمس الثالث فعل مثله محمد على باشا الكبير . فان جيوشه البرية وأساطيله البحرية زلزلت ثلاث قارات وغزواته وفتوحاته توالت متتابعة توجها بانتصاره الكبير فى وقعة « نزيب » فارتفع شأن مصر فى البر والبحر ودانت له دول البر ودول البحر

- كان لتحوتمس الثالث ابن هو امنحوتب الثانى إذا أشاروا اليه قالوا هذا الشبل من ذاك الأسد . ومحمد على مثله كان ابنه ابراهيم إذا ذكروه قالوا هذا الشبل من ذلك الأسد

- عندما كان أعداء مصر يقعون أسرى كان تحوتمس يعاملهم معاملة كريمة .

ومحمد على مثله كان يعامل أسراه معاملة كريمة (مثل معاملته لوالى عكا ولشريف مكه وللصدر الأعظم رشيد باشا) .

- ومن المصادفات ان امنحوتب الثانى ابن تحوتمس تولى حكم مصر فى حياة أبيه . وابراهيم باشا ابن محمد على تولى حكم مصر فى حياة أبيه .

- سمى المؤرخون فرعون مصر تحوتمس الكبير . كما سموا عاهل مصر محمد على الكبير .

-ومن أغرب المصادفات ان تحوتمس الثالث توفى فى السنة (التاسعة والأربعين بعد الألف والاربعمائة قبل الميلاد . ومحمد على توفى هو أيضاً فى السنة (التاسعة والأربعين) بعد الألف والثمانمائة بعد الميلاد

- وصف أحد المؤرخين تحوتمس الثالث بوصف ينطبق عليه وعلى محمد على فقال : « كان هذا الفرعون ذا نشاط عجيب يفكر فى الليل ويعمل فى النهار بلا كلل ولا ملل . بينما كانت يمناه تسير جيوشه فى آسيا كانت يسراه تدبر أمور الدولة فى مصر . كانت عيناه كعيني الفهد لها نظرات تخترق الحجب[1] . كان حكمه فذا فريداً لا مثيل له لا فى مصر وحدها بل فى الشرق كله . لم يكن تحوتمس بطلا مصرياً فحسب بل كان بطلا عالمياً أيضاً . كان اسمه وهو حى يلقى الرعب فى النفوس وبعد موته بقى اسمه علماً على البطولة والعبقرية العالمية . ولما مات رثاه أحد المؤرخين بقوله « بموته انتهى عهد أعظم عاهل استوى على عرش الفراعنة »

- وصفه مستر جى برينتون الانجليزى - أحد كبار علماء الآثار المصرية - فقال « انه كان أعظم شخصية استوقفت الأنظار بين سلسلة فراعنة مصر الطويلة[2] » . ووصف مسيو هانوتو الفرنسى - أحد كبار المؤرخين - محمد على باشا بقوله « ان محمد على كان أعظم شخصية ظهرت فى الشرق من عدة قرون »

---

(١) وهو وصف ينطبق على الثلاثة :

"Comme un rapas aux cent yeux, il avait le regard partout"

(٢) "Thotmosès III is in many ways the most striking figure in the whole long list of the Pharobs"

فى سنة ١٩٣٤ احتفل بذكرى مرور ألف سنة على مولد الفردوسى صاحب ملحمة شاهنامة - ومعناها « كتاب الملوك » - التى بلغ عدد ابياتها ٦٠٠٠٠ وتضمنت تاريخ ملوك العجم من أول عهدهم الى أيام خسرو ابرويز . ولما قدمها واضعها الى السلطان محمود سبكتكين الغزنوى كافأه بستين ألف دينار أى بدينار عن كل بيت . ويسمون الشاهنامة « الياذة » الفرس لأنها جاءت على مثال « الياذة » هوميروس الشاعر الاغريقى المشهور . وقد بدأ الفردوسى ينظمها وهو فى الخمسين من عمره وامضى فى نظمها ثلاثين سنة فأتمها وهو فى الثمانين. وولد الفردوسى فى مدينة طوس (من بلاد العجم) وهو معروف بشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء

وفى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٤ احتفل العالم العربى – بمصره ولبنانه وشامه وحجازه ويمنه واردنه – بالعيد الألفى لأبى العلاء المعرى الذى ولد فى معرة النعمان وطبقت شهرته الافاق . وأتى « بما لم تستطعه الأوائل »

وتستعد ايران للاحتفال بمرور ١٠٠٠ عام على ميلاد ابن سينا الطبيب والأديب المشهور [1]

ومثلهما الشاعر سعدى الشيرازى الفارسى المشهور

واحتفلت جامعة « براغ » عاصمة تشيكوسلوفاكيا بمرور ٦٠٠ سنة على تأسيسها

واحتفلت جامعة « هايدلبرج » بالمانيا بذكرى مرور ٥٥٠ سنة على انشائها

وفى سنة ١٩٣٤ احتفلت فرنسا بذكرى مرور ٣٠٠ سنة على تأسيس المجمع العلمى الفرنسى الذى أنشأه الكردينال ريشليو فى سنة ١٦٣٥ فى عهد لويس الثالث عشر ملك فرنسا

وفى سنة ١٩١٦ احتفل بذكرى مرور ٣٠٠ سنة على وفاة شكسبير أعظم شعراء انجلترا.

---

(١) ومن الغريب ان هذا العالم تتنازعه عدة دول . فروسيا تعده مواطناً . وتركيا تعده تركياً . حتى انها فكرت منذ سنوات فى نقل رفاته الى انقره . والعرب يعدونه عربياً صميماً لأن مؤلفاته كتبت بلغة الضاد . والافغان تتنازع ايران عليه لأنه ولد فى بلدة بلخ الافغانية

فى سنة ١٨٨٨ احتفل بذكرى مرور مائة سنة على تأسيس جريدة « التايمس » الانجليزية التى أنشأها جون والتر فى سنة ١٧٨٨

وفى شهر مارس سنة ١٩٠٤ أقامت فرنسا مهرجاناً لمناسبة مرور مائة سنة على صدور القانون المدنى الفرنسى الذى كان لنابليون فضل اصداره فى سنة ١٨٠٤ وكان يعده فخره الخالد . أليس هو القائل ، وهو فى منفاه فى جزيرة سانت هيلانه : « ليس فخري ومجدى بانتصارى فى أربعين معركة . ان واترلو Waterloo سوف تمحو ذكرى هذه الانتصارات ، أما الأثر الذى سيبقى لى خالداً أبداً فهو قانونى المدنى » . وقد سمته الحكومة الفرنساوية « قانون نابليون » اعترافاً بفضله .

وفى ٢٥ مارس سنة ١٨٣٠ احتفلت اليونان بالعيد المئوى لاستقلالها . كما احتفلت سويسرا بالعيد المئوى لاعلان دستورها في سنة ١٨٤٨ . كما احتفلت فرنسا بذكرى مرور ١٠٠ سنة على ثورة سنة ١٨٤٨

ومنذ أسبوع مضى احتفل فى فندق شبرد بالقاهرة بالعيد المئوى لاستقلال بلاد المجر .

واحتفلت مدينة شيكاغو الامريكية بذكرى مرور مائة سنة على استقلالها (تنفيذاً لقرار مؤتمر لندن) .

وستحتفل جمهورية تشيكوسلوفاكيا بعد سنتين بالعيد المئوى لمولد مازاريك مؤسس دولة التشيكوسلوفاكية

وفى سنة ١٩٣٥ احتفل بذكرى مرور ٥٠ سنة على وفاة فيكتور هوجو اذ توفى فى باريس سنة ١٨٨٥

وفى سنة ١٩٢٦ احتفلت محكمة الاستئناف المختلطة ورجال القضاء ورجال النيابة ورجال المحاماة الأجانب فى ثغر الاسكندرية بذكرى مرور ٥٠ سنة على انشاء المحاكم المختلطة « العيد الذهبى »

وفى سنة ١٩٣٣ احتفلت الحكومة المصرية بذكرى مرور ٥٠ سنة على انشاء المحاكم الأهلية فأقيمت حفلة كبرى فى دار الأوبرا شرفها المغفور له جلالة الملك

فؤاد الأول وشهدها جميع رجال القضاء والنيابة . اما المحامون فقد احتفلوا بهذه الذكرى فى فندق هليو بوليس وكانت حفلتهم من أفخم الحفلات

واحتفلت لبنان باليوبيل الذهبى للعلامة الشيخ ابراهيم المنذر تقديراً لأياديه البيضاء على النهضة العلمية والأدبية فى لبنان

وفى يوم ٢٢ ابريل سنة ١٩٤٨ احتفلت الجمعية الزراعية المصرية الملكية - بعيدها الذهبى - أى بمرور ٥٠ سنة على انشائها

وفى ١١ مارس سنة ١٩٥٠ سيحتفل بذكرى مرور ٢٥ سنة على انشاء الجامعة المصرية « عيدها الفضى »

وفى سبتمبر سنة ١٩٤٨ احتفلت شركة سابينا للطيران البلجيكية بعيدها الفضى لمرور ٢٥ سنة على تأسيسها

وفى خلال شهر يناير سنة ١٩٤٨ احتفل بذكرى مرور عشرة أعوام على صدور مجلة « المستمع العربى » التى تنشرها هيئة الاذاعة البريطانية فى مصر .

هذا ومهرجانات ذكرى مرور ألف سنة أو ٥٠٠ سنة أو ٣٠٠ سنة أو مئة سنة أو خمسين سنة أو خمس وعشرين سنة على تأسيس دولة (مثل جمهورية الولايات المتحدة) أو على استواء ملك عظيم على العرش ، مثل احتفال الانجليز بذكرى مرور ٥٠ سنة على اعتلاء الملكة فيكتوريا على عرش انجلترا . واحتفال اهالى هولاندا فى ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٨ بالعيد الذهبى لمرور ٥٠ سنة على استواء الملكة وهلمينا على عرش هولاندا . أو عاهل عظيم مثل مبايعة محمد على باشا راس العائلة المحمدية العلوية والياً على مصر . أو شاعر مفلق ، مثل الاحتفال بذكرى مرور ٥٠ سنة على وفاة فيكتور هوجو أشعر شعراء فرنسا فى القرن التاسع عشر . أو عالم كبير ، مثل العالم باستور الذى احتفل فى سنة ١٩٤٥ بذكرى مرور ٥٠ سنة على وفاته . كما احتفل فى شهر ابريل سنة ١٩٤٨ بذكرى وفاة « كلود ديوسى » الموسيقار المشهور . أو وقوع حادثة من الحوادث العظيمة التى غيرت وجه التاريخ مثل الثورة الفرنساوية فى سنة ١٧٨٩ . أو انشاء معهد علمى عظيم ، مثل انشاء الجمعية الجغرافية المصرية فى عهد الخديو اسماعيل .

أو انشاء المجمع العلمى المصرى الذى أسسه الجنرال بونابرت عند ماغزا مصر فى سنة ١٧٩٨ كل هـذه المهرجانات تثير فى النفوس ذكريات عظيمة لها أثر فى حياة الشعوب

وأول من فكر فى الاحتفال بالأعياد المئوية هو البابا بونيفاس الثامن . إذ أقام أول احتفال بالعيد المئوى سنة ١٣٠٠ ميلادية وفيها منح بركته الرسولية الى كل من يحج الى روما - عاصمة الكثلكة - ويزور جميع كنائسها . ولما خلفه فى كرسى البابوية البابا كليمان السادس جعل العيد كل ٥٠ سنة . ولما جاء من بعده البابا بولص جعلها كل ٢٥ سنة .

وفى أوروبا يحتفل الزوجان بالعيد الفضى اذا انقضت خمس وعشرون سنة على زواجهما . وبالعيد الذهبى اذا انقضت على زواجهما ٥٠ سنة وبالعيد الالماسى اذا انقضت ٧٥ سنة على زواجهما .

ومن أغرب المهرجانات التى احتفل فيها بذكرى مرور ٥٠ سنة على استواء ملك على العرش المهرجان الخمسينى للملك ادوارد الثالث ملك انجلترا ، إذ أنه توفى فى يوم الاحتفال نفسه .

واغرب منه الاحتفال بذكرى نشر مقالة « اميل زولا » الكاتب الفرنساوى الشهير وهى المقالة التى عنوانها « انى أتهم » وفيها فضح قضاة المحكمة العسكرية التى حكمت على دريفوس بالنفى فى جزيرة الشيطان . وكان من أثر نشر هذه المقالة ان اعيدت محاكمة دريفوس وفيها ثبت تزوير الوثيقة التى بنى عليها حكم الادانة ، فالغى حكم الادانة وحكم ببراءته .

هذا وفى ٢٢ يونيه سنة ١٩٣٣ نشرتُ فى جريدة « الاهرام » الغراء مقالة ذكرت فيها ان جوهر القائد ، شرع فى خلال شهر جمادى الأولى سنة ٣٥٩ من الهجرة فى بناء مدينة القاهرة وفى تأسيس الجامع الازهر . ووجهت نظر الحكومة المصرية الى وجوب الاحتفال بذكرى مرور ألف سنة على تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر .

وقد عقب المغفور له داود بك بركات على هذه المقالة بكلمة رائعة حبذ فيها

الفكرة وناشد الحكومة بتنفيذها . كما ان حضرة صاحب الفضيلة الشيخ ابو رحاب من علماء الازهر أيد الفكرة بمقالة نشرها فى ٢٥ يونيه سنة ١٩٣٣ جمعت بين الايجاز والاعجاز . وها قد مضت خمس عشرة سنة على ندائنا ونداء « الاهرام » ونداء أحد علماء الازهر ولم تحتفل مصر بالعيد الألفى لتأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر . فهل ذهبت هذه الصيحات سدى ؟ . أيها أهم وأعظم أثراً فى حياة الشعوب ، تأسيس مدينة القاهرة والجامع الازهر الذى سطعت أنواره فى الشرق الاوسط والمغرب الاقصى والشرق الاقصى ألف سنة ، أم تأسيس جريدة أو مجلة أو محكمة أو مدينة أو مجمع أو نشر مقالة ؟

الكلمة الآن لأولى الأمر[1].

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى الاهرام « عدد » ٢٦ مارس سنة ١٩٤٨

ومما يسترعى النظر انها بنيت من غير اسمنت ومن غير خرسانة مع ان طولها ٢٦٩ متراً وتعلو عن سطح الأرض بثمانيـة وأربعين متراً . وقد وصف أحد المؤرخين هذه القنطرة فقال : « لا يوجد فى الامبراطورية الرومانيـة أثر له روعة قنطرة الجـارد Pont du Gard وجمالها » .

ساقتنى الى ذكر هذه السابقة التاريخية مناسبتان :

الأولى: مناسبة البحث القيم الذى كتبه حضرة الفاضل الاستاذ فؤاد فرج مدير الاعمال بادارة البلديات (حول مشروع جبل المقطم) و (عمليات مياه أثرية كانت تستعمل لرفع مياه النيل فوق جبل المقطم) ننقل هنا شطرين منه : الشطر التاريخى والشطر الفنى

فقد روى فى الشطر الاول ان : عمراً بن العاص سأل المقوقس آخر حكام مصر المسيحيين ، ما بال جبلكم (يريد جبل المقطم) أقرع ليس فيه نبات ولا شجر ؟

فأجابه المقوقس : وجدنا فى الكتب ان جبل المقطم كان أكثر الجبال شجراً ونباتاً وفاكهة وانه كان عامراً ويذهب اليه الناس وينزلونه

الى أن قال : « وقد أنشأ أحمد بن طولون فى سنة ٨٧٢ ميلادية بيارة عميقـة شمالى بركة الحبش وأقام فوقها قناطر وسواقي لها قواديس مدلاة ، وبنى حائطاً لمجرى المياه . وكانت هذه البيـارة تستمد مياهها من بركة الحبش أو من خليج بنى وائل . وكانت السواقي تستعمل لرفع مياه النيل فوق القناطر وتصبها في مجرى المياه ، وتدل جميع الظواهر الباقية الى الآن على ان هذه العملية كانت تستعمل فى رى أراضى جبل الرصد وزراعتهـا وربما كان يمتد منها فرع آخر لتغذية جامع ابن طولون ومدينـة ابن طولون التى أنشأها فوق جبل يشكر ، وهو عبارة عن بروز آخر من جبل المقطم . ولا تزال آثار عمليـة مياه ابن طولون وحائط مجري الميـاه ماثلة الى الآن بقرب قرية البساتين . . . »

وانتهى حضرة الكاتب بأن قال : « ولا يفوتنـا فى هذا المقام أن نشـير الى قناطر العيون بفم الخليج . وهي أيضاً عبارة عن عملية مياه أثرية كانت تستعمـل لرفع مياه النيل فوق قلعة القاهرة ، وقد ظلت تقوم بعملها منذ انشائها فى عهد صلاح الدين

الأيوبى الى أن أنشئت أول عملية مياه للقاهرة سنة ١٨٦٥ في عهد الخديو اسماعيل . تلك هى عمليات المياه الأثرية التى كانت تستعمل لرفع مياه النيل فوق بعض أجزاء جبل المقطم . فهل ترانا نوفق في عصر الكهرباء لانشاء عملية حديثة لرفع مياه النيل فوق جبل المقطم لرى مساحات واسعة لا تزال حتى الآن بوراً لا ينتفع بها » ؟

أما المناسبة الثانية ، فهى انى كنت فى سنة ١٩٣١ أصيف فى لبنان وكان بين المصطافين أحد كبار المهندسين المصريين فسألته ألا يمكن الانتفاع بجبل المقطم وبالمساحة الواسعة المحيطة به ، ببناء فيلات وتشييد مساكن وانشاء حدائق وغرس أشجار زيتون وكروم ونخيل ومزارع ومراع وما اليها ؟ فأجاب : هذا مستحيل لأنه لا توجد وسائل فنية هندسية نرفع بها مياه النيل الى السهول المرتفعة المحيطة بجبل المقطم ، واذا وجد المهندس الذى يدلنا على وسيلة واحدة لرفع مياه النيل لرى هذه السهول المرتفعة أقمنا له تمثالاً من الذهب

تواردت هذه الخواطر فى رأسى فقلت : ألا يحسن بالحكومة أن تؤلف لجنة من بعض كبار المهندسين المصريين والاجانب لدرس هذا المشروع ، حتى اذا اهتدوا الى الطريقة التى بها يمكن رفع مياه النيل الى مستوى السهول المحيطة بجبل المقطم وقدروا تكاليفها ، فإما أن تقوم الحكومة بتنفيذ المشروع وإما أن تقوم شركة مصرية (مثل إحدى شركات بنك مصر) أو تقوم شركة مصرية امريكية أو شركة مصرية انجليزية أو شركة مصرية بلجيكية أو شركة مصرية فرنساوية ، بتنفيذ الفكرة فتشترى من الحكومة مساحة واسعة من هذه الاراضى وتقسمها وتشق فيها الشوارع والميادين ثم تبيعها للاهالى وهم يقيمون بها فيلات ومنازل وعمارات وينشئون فيها الحدائق ويغرسون الغراس ويزرعون المراعى والمزارع للخضرة والفواكه وما اليها على مثال ما عمل البارون امبان وباغوص باشا نوبار . وبذلك نضيف الى المدن المصرية مدينة جديدة ، ولا سيما فى هذا الزمن زمن أزمة المساكن الذى بلغ فيه سكان مدينة القاهرة وحدها مليونى نفس (مع ان عدد سكان القطر المصرى كله كان فى سنة ١٨٠٠ لا يزيد على مليونين وخمسمائة الف . ومعنى هذا ان عدد سكان مدينة

القاهرة وحدها سيزيد بعد خمس أو ست سنوات على عدد سكان القطر المصرى من ١٥٠ سنة)

اذا جاز هذا فى عهد الامبراطور اغسطس من ٢٠٠٠ سنة وجاز فى عهد المقوقس من ١٣٦٧ سنة وجاز فى عهد صلاح الدين الأيوبى من ١١٦٧ سنة وجاز فى عهد ابن طولون من ٨٧٢ سنة أفلا يجوز فى القرن العشرين وهو عصر العجائب والغرائب والمعجزات[1]

---

(١) نشرنا هذه الكلمة فى جريدة « الاهرام » عدد ١٨ اغسطس سنة ١٩٤٨ . وفى ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٨ نشرت « الاهرام » الكلمة الآتية تحت عنوان « مدينة المقطم »

« اثير فى المؤتمرات الهندسية التى عقدت اخيراً ، مشروع إنشاء مدينة فوق جبل المقطم . ولما كان اخراج هذا المشروع الى حيز التنفيذ موقوفاً على رفع المياه الى الجبل وتقدير النفقات الخاصة بذلك ، رأى بعض كبار المهندسين دراسة موضوع هذه النفقات تمهيداً لتقديرها » .

(٢) ثم نشرت جريدة « الزمان » تحت عنوان (تعمير جبل المقطم) ما يأتى :

« تدرس وزارة الاشغال بالاشتراك مع مصلحة الرى في الوقت الحاضر مشروعاً يرمى الى زراعة عشرة آلاف فدان على جبل المقطم وذلك بتوصيل الماء اليها بواسطة المضخات .

« وقد تلقت وزارة التجارة والصناعة عدة طلبات من الشركات والافراد يطلبون اليها منحهم استغلال بعض هذه الاقدنة لانشاء فنادق ونوادى ودور للهو لزيادة تعمير هذه المنطقة .

« وقد اشترطت هذه الشركات أن تقوم الحكومة بتمهيد الطريق الى جبل المقطم وكذلك توصيل المرافق العامة به بأن تمد اليه المجارى وأنابيب المياه والنور

« وتقوم وزارة التجارة والصناعة فى الوقت الحاضر بدراسة هذه الطلبات من الناحية السياحية »

وفى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٨ علّق على مقالتنا حضرة الاستاذ الفاضل حسن بك عبدالوهاب مفتش الآثار العربية فى جريدة الاهرام بالكلمة الآتية تحت عنوان (مدينة المرصد) :

« كثر الحديث فى هذه الايام حول انشاء مدينة فوق جبل المقطم للانتفاع بجمال موقعه وجودة هوائه ،وتخفيف الضغط عن القاهرة،وهى فكرة جليلة نرجو لها التحقيق وتذليل عقباتها المتشعبة

« على انى لهذه المناسبة الفت الانظار الى موقع جميل صحى آخر يمتاز بسهولة الوصول اليه وسهولة تزويده بالماء والنور وأعنى به منطقة المرصد الممتدة من دار السلام الى ما بعد أثر النبى فى طريق المعادى وهى المعروفة الآن باستطبل عنتر .

« انها منطقة مرتفعة صخرية ، تمتد فى مساحات منبسطة ، وهناك طرق عدة توصل اليها من دار السلام . وشارع الفسطاط وشارع اثر النبى . ومن طريق البساتين . ثم هي واقعة على جبل ، وتشرف من بعد على جبل ، كما انها تشرف على بساتين بركة الحبش

« وتعد هذه المنطقة التى انشىء بها مرصد فلكى أخيراً من أجل متنزهات القاهرة وكثيراً ما قصد اليها السراة والادباء فى الليالى القمرية ومواسم الصيف .

« ومما يؤثر عن المعز لدين الله الخليفة الفاطمى انه حين جاء الى القاهرة بعد أن بناها له قائده

كتب الكاتب الامريكى سنكلر قصة خيالية عن عالم روسي اخترع حبة تعيد الحياة الى الميت . ثم مات العالم الروسى قبل أن يكشف عن سر الاختراع .

ودخل صحفى امريكى الى معمله فوجد زجاجة بها خمس حبات من الدواء العجيب . فحار الصحفى فيمن هم الخمسة الذين أراد العالم الروسى أن يرد اليهم الحياة؟

وفى هذا المقال كتبت فى صحيفة « آخر ساعة » عن الخمسة الذين أريد أن أرد اليهم الحياة .

الخمسة الذين أريد ردهم الى الحياة هم :

سيدنا آدم :

- لأنه « أبو البشر » .
- وقد خلقه الله من طين .
- وهو أول من أخرج من ضلعه امرأة .
- وأول من سكن الفردوس .

جوهر الصقلى ، لم يعجبه موقعها ، وقال له بعد أن رأى ذلك الموقع ، كان ينبغى عمارة القاهرة بهذا الجبل

ولم يغفل المغفور له محمد على باشا الكبير أهمية هذا الموقع فشيد فيه طواحين الهواء الباقية حتى الآن . كما انشئت القصور والمساجد والحدائق فى شرقها وشمالها مكان القرافة الكبرى التى كانت هناك

وقد افتتن بجمال هذه المنطقة ادباء مصر وشعراؤها ولعل خير وصف لها ذلك الذى وصفها به أمير مصر بن عيسى اذ خرج اليها يوماً فقال لمن حوله : « أتتأملون الذى أرى ؟ قالوا : ما الذى يرى الامير ؟ قال : أرى ميدان رهان ، وجنان نخل ، وبستان شجر ، ومنازل سكنى ، وذروة جبل ، وجبانة أموات ، ونهراً عجاجاً ، وأرض زرع ، ومراعى ماشية ، ومرتع خيل ، وساحل بحر ، وصائد نهر ، وقانص وحش ، وملاح سفينة ، وحادى ابل ، ومفازه رمل ، وسهلا وجبلا . فهذه ثمانية عشر متنزهاً فى أقل من ميل فى ميل »

وفى وصف هذه المنطقة يقول ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي :

يا نزهة المرصد المصرى قد جمعت ... من كل شيء حلا فى جانب الوادى

فذا غدير ، وذا روض وذا جبل ... والضب والنون والملاح والحادى

فالى المفكرين في مدينة المقطم أوجه كلمتى ولهم بعد ذلك المقارنة والاختيار . »

- وأكل من شجرة الخلد وعصى ربه فغوى .

أريد أن أستعيده من دار البقاء الى دار الفناء لأسأله عن الله جل جلاله كما رآه. وعن السموات السبع كما رآها . وعن الملائكة والشياطين ، لا لأنى لا أؤمن بوجود الله ووجود السموات ووجود الملائكة والشياطين (ولـكن ليطمئن قلبى)

سيدنا نوح :

- لأنه أول من تضرع الى الله لينقذه وآله من الطوفان واستجاب الله دعاءه .

- أريد أن أراه ليحدثنى عن الطوفان وكيف بدأ وكيف انتهى . ثم آخذه من يده وأطوف به فى أنحاء القـارات الخمس وأنظر الى الأثر الذى يتركه فى نفسه اذا ما رأى الأرض تدور حول الشمس ورأى القمر يدور حول الأرض ورأى الشمس تشرق من المشرق وتغرب فى المغرب .

- وأسأله أن يحدثنا عما كانت عليه الأرض من آلاف السنين وماهى عليه الآن.

سيدنا موسى :

- أريد أن أراه لأنه ولد فى منفيس عاصمة مصر القديمة فهو اذن مصرى من مواطنينا .

- أريد أن أسأله كيف التقطته بنت فرعون مصر من النيل وهو فى التابوت .

- وكيف كلمه الله فى طور سينا .

- ولأنه هو أول زعيم قاد شعباً . وحرر شعباً . وشرع الله له شرعاً .

- وأرجو منه أن يحدثنى عن بنى اسرائيل وكيف هاجروا من مصر الى صحراء سينا. وكيف ضرب لبنى اسرائيل طريقاً فى البحر يبساً . وكيف تبعه فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم . وكيف أنزل عليهم المن والسـلوى . وكيف ألقى عصاه فاذا هى حية تسعى . وأسأله عن الوادى المقدس . وعن الطور الأيمن . وعن جنات عدن وعن ابراهيم واسرائيل واسحق و يعقوب واسماعيل وادريس وعن أخيـه هارون .وعما جرى فى القرون الأولى .

- وأسأله عن حالة مصر وحال المصريين فى أيام أمينوفيس فرعون مصر أو منفتاح الذى استوى على عرش مصر بعد رمسيس الثالث و يحدثنا عن أرض

كنعان كما كانت وكما رآها وفيها مات وفيها دفن . ثم يقص علينا من أنباء ما قد سبق .

سيدنا يسوع المسيح :

- هل هو رب كما يقول النصارى ؟ .

- هل هو نبي كما يقول المسلمون وكما يقول بعض النصارى .

- هل هو بشر مثلي ومثلك كما يقول الفلاسفة الذين لا يعتقدون بربوبيته ولا بنبوته . ويقولون انه بشر بلغ أسمى ذروة من المجد الانساني كما يقول رينان الفيلسوف الفرنسي .

- أو هو اسم علي غير مسمى كما يذهب البعض .

سر من الأسرار . . . لغز من الالغاز . فاذا ما مثل أمامنا كشف لنا المعميات التي تحيط بهويته .

- أسأله عن معجزاته : كيف كلم الناس في المهد صبياً . وكيف علمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . وكيف أبرأ الاكمه - والاكمه هو الذي ولد أعمى - والابرص وأحيا الموتى . وكيف رد السمع الى الصم . وكيف أمر العواصف فسكتت . وكيف طرد الشياطين . وكيف غفر للمذنبين خطاياهم . وكيف صلب . وهل صلبوه حقيقة أم شبه لهم . وكيف توفاه الله ورفعه اليه . وأسأله عن الحواريين أنصار الله . ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب .

- أريد أن أسأله عن أمه السيدة مريم العذراء وكيف قالت لها الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى . كيف ولدته ولم يمسسها بشر ولم تك بغيا . وكيف هبطت معه ومع سيدنا يوسف مصر . وكيف اجتازوا الصحراء بين بيت لحم ومصر . وهل استظلت حقيقة بشجرة المطرية ؟ . وكيف وجدوا مصر . وكيف وجدوا حال المصريين .

سيدنا محمد :

- شخصية حارت البرية فيها . يدين لها الآن ٤٠٠ مليون مسلم ودان لها من قبل في خلال ١٣٦٦ سنة الف الف مليون شخص ونيف .

- أسأله عن سيدنا جبريل عليه السلام . وكيف كان يبلغه كلام الله . وكيف أسرى ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى. وكيف هاجر من مكة الى المدينة . وكيف كان هو وصحبه فى الغار . وأطلب منه أن يحدثنا عن حال العرب فى زمن الجاهلية وفى زمن الاسلام .

- وأسأله عن صحبه وخلفائه . أبى بكر وهو أول من أسلم من الرجال . والسيدة خديجه وهى أول من أسلم من النساء. والسيدة عائشة وهى أول من كنى بأم المؤمنين . وعن عمر وهو أول من لقب بأمير المؤمنين. وعن علي وهو أول من أسلم من الغلمان .

شخصيته وشخصية سيدنا عيسى شخصيتان عجيبتان حقاً . ولدا وعاشا فى البرارى والصحارى وفى زمن الجاهلية والوثنية فطلعا على العالم بشرائع وتعاليم وآداب سمت الى ذروة الحكمة جمعت بين أدب الدين وأدب الدنيا . دانت لها آلاف الملايين من الناس يكاد عددهم يبلغ الآن ثلاثة أرباع سكان الكرة الأرضية . فما هى هذه القوة الروحانية التى سيطرت على العالم الى هذه الدرجة ؟ . . . سر عجيب حقاً .

واذا سأل سائل لماذا اخترت هؤلاء الخمسة وآثرتهم على غيرهم . قلت اخترتهم وآثرتهم لأن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين . ولأنه لم يرهم أحد ولم يصفهم أحد . . وما كان فى زمانهم لا فونوغراف يسمعنا أصواتهم . ولا فوتوغراف يرينا أشباحهم . ولا سينما ترينا على الشاشة البيضاء حركاتهم وسكناتهم .

ثم أريد أن أستدرج هؤلاء وهؤلاء الى دار « أخبار اليوم » ليصورنى مصورها معهم ومع أسرة «أخبار اليوم وآخر ساعة» وأحفظ هذه الصورة للذكرى والتاريخ [1]

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة «آخر ساعة» عدد ٦ اغسطس سنة ١٩٤٧

الامير عبد القادر

الامير عبد الكريم

يعد الأمير عبد القادر من أبطال القرن التاسع عشر ، و يعد الأمير عبد الكريم من أبطال القرن العشرين .

ولد الأول فى سنة ١٨٠٨ ونابليون فى أوج عزه ومجده . وزار مصر ومحمد على فى اوج عزه ومجده . وولد الثانى فى سنة ١٨٨٢ واسبانيا مضطربة ومصر مشتبكة مع انجلترا من جراء الثورة العرابية

والأول حج فى سنة ١٨٢٦ وزار الحرمين الشريفين وصار حاجاً ثم زار بغداد . والثانى لم يزر البيت الحرام ولم ير مصر ، إلى أن نزل فيها أمس

الاثنان من بلاد المغرب : الأول جزائرى من وهران ، والثانى مراكشى من بلاد الريف .

الاثنان أعلنا الجهاد : الاول على فرنسا ، والثانى على أسبانيا وفرنسا معاً .

كلاهما أراد استقلال بلاده ، الاول باخراج الفرنسيين من بلاد الجزائر . والثانى باخراج الأسبان والفرنسيين من مراكش .

الاول جند من قبائل بلاده ١٠٫٠٠٠ مقاتل (٨٫٠٠٠ من المشاة و٢٫٠٠٠ من الفرسان) والثانى جنّد من قبائل بلاده ١٠٫٠٠٠ مقاتل .

بدأ الاول وانتصر على الفرنسيين . فاضطرت فرنسا الى عقد محالفة معه في ٢٢ نوفمبر سنة ١٨٣٢ وبهذه المحالفة اعترفت به سلطاناً على مقاطعة وهران وعلى مقاطعة الجزائر كما اعترف به سلطان مراكش أميراً للمؤمنين فى بلاد الجزائر . وبدأ الثانى وانتصر على الأسبان في وقعة انوال فى ٢١ يوليه سنة ١٩٢١ شفع هذا النصر بنصر آخر فى أغسطس سنة ١٩٢٤ وبهذين النصرين بسط سلطانه على الريف .

الاول حارب فرنسا ١٣ سنة (من سنة ١٨٣٤ الى سنة ١٨٤٧) لم يكل ولم يمل وهو على صهوة جواده الاسود وعلى رأسه عمامته الخضراء . والثانى حارب أسبانيا وفرنسا معا خمس سنوات (من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٦)

جردت فرنسا لمحاربة الأمير عبدالقادر ١٠٠٫٠٠٠ مقاتل كانوا تحت امرة أربعة من كبار رجال الحرب هم : الدوق دومال ، والجنرال بوجو ، والجنرال لاموريسيير ، والجنرال ديبيشل وجردت أسبانيا وفرنسا ٣٠٠٫٠٠٠ مقاتل لمحاربة الأمير عبد الكريم كانوا تحت امرة الماريشال بيتان المعروف

ومن المصادفات الغريبة أن الأمير عبد القادر الذى حارب الفرنسيين كان يعاونه رجل فرنسى اسمه ليون روش اعتنق الدين الاسلامي ، وانضم الى الأمير عبد القادر ولبث يعاونه سنتين كاملتين على مثال ما فعله سليمان باشا الفرنساوى مع محمد على باشا الكبير اذ ان سليمان باشا كان من جنود نابليون ، وبعد وقعة واترلو هاجر من فرنسا . ولما حضر الى مصر دخل فى خدمة محمد على باشا واسلم ، وبقي يعاون محمد على وابنه ابراهيم ما عاش الى أن توفي

ولما شتت فرنسا جنود الامير عبد القادر وجنود حليفه سلطان مراكش مولاى عبد الرحمن ، وتخلت عنه القبائل التى كانت موالية له ولم تنجده تركيا ولا انجلترا ولا اسبانيا ، ولم تجد له الدعاية الواسعة فى فرنسا نفسها ، ووقعت أسرته وحاشيته فى

قبضة الفرنسيين فى ١٦ مايو سنة ١٨٤٣ ولم يعد في قدرته المقاومة ، سلم نفسه الى الجنرال الفرنسى لامور يسيير في ليلة ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٤٧ واعتبرته فرنسا أسير حرب واعتقلته فى مدينة بو (فرنسا) وبقى معتقلا فيها إلى أن تولى رياسة الجمهورية الفرنسوية لويس نابليون (ابن اخى نابليون الكبير ، وهو الذى استوى على عرش فرنسا فيما بعد باسم نابليون الثالث)فعفا عنه فى ١٦ اكتوبر سنة ١٨٥٢ وسمح له بالاقامة فى تركيا ، فسافر وأقام فى مدينة بورصة ثلاث سنوات ، ثم انتقل منها الى ازمير ، ومنها الى دمشق إلى أن توفى فى ٢٦ مايو سنة ١٨٨٣ مذكوراً بجميل خلاله وجليل أعماله

اما الامير عبد الكريم فبعد أن نفدت موارده وقل زاده وتخلت عنه القبائل التى كانت موالية له سلم نفسه بلا قيد ولا شرط فى شهر مايو سنة ١٩٢٦ ونفى فى جزيرة رينيون ، إلى أن عفى عنه فى هذا الشهر وهو الآن فى طريقه الى فرنسا

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر للأمير عبد القادر بعض مآثره التى تخلد له الذكرى الحسنة

- فمن ذلك انه فى خلال سنة ١٨٦٠ شبت ثورة في دمشق أعقبتها مذبحة هائلة فدفعت الشهامة والمروءة والانسانية الأمير عبد القادر الى حماية النصارى فانقذ برجاله المغاربة حياة ١٢٫٠٠٠ مسيحى ، واعترافا ببطولته وشهامته ومروءته قلدته حكومة فرنسا نيشان الليجيون دونور

- وقد ثنى الامير عبد القادر هذه الشهامة بشهامة مثلها فى سنة ١٨٧١ عندما اشتبكت فرنسا مع ألمانيا فى حرب السبعين إذ سعى الساعون الي تحريضه على العودة الى بلاده ورفع لواء الجهاد على فرنسا ، ولكنه رفض أن يطعن فرنسا فى ظهرها وهى مشتبكة فى حرب وبقى على ولائه واخلاصه،الى أن لبى نداء ربه. رحمه الله رحمة واسعة

وصفه أحد المؤرخين بعبارة جمعت بين الايجاز والاعجاز فقال : « كان زعيما بكل ما وسعت هذه الكلمة من المعانى السامية جمع شجاعة الجندى ومهارة السياسى وحزم الادارى علاوة على إيمان المؤمنين » (١)

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة « الاهرام » عدد ١ يونيه سنة ١٩٤٧

٩

كثر الكلام على المياه الصالحة للشرب ووجوب توفيرها لسا كنى الأرياف

حسب الحاسبون المال اللازم والزمن اللازم لتحقيق هذا المشروع الحيوى ، فقال بعضهم ان المال اللازم يزيد على ١٣ مليوناً من الجنيهات ، وان الزمن اللازم يزيد على عشر سنوات

الواقع ان تنفيذ هذا المشروع الجليل ذا المنفعة العامة لايحتاج إلى مال قارون ، ولا الى صبر أيوب ، ولا إلى عمر نوح

ان فى المملكة المصرية ٤٠٠٠ قرية يسكنها ٩٠ ٪ من سكان مصر . وملاك الأطيان الواسعة كثيرون جداً ، وأغنياء جداً ، والفلاحون والمزارعون الذين عندهم كثيرون جدا ، وفقراء جداً . فقر هؤلاء الفقراء جريمة هؤلاء الأغنياء . الأغنياء بخلاء جعلوا أيديهم مغلولة الى أعناقهم لاينظرون بقلوبهم الى السماء أو إلى الفلاح المسكين ، ولى نعمتهم كما قال محمد على باشا الكبير، فيحسنون حاله من مسكن ومأكل ومشرب ، بل ينظرون بأعينهم الى الأرض وإلى ثمرات الأرض ، يسطون عليها لينفقوها فى ملاذهم . طبقة الملاك تتعب من فرط الرخاء ، وطبقة الفلاحين تموت من فرط الشقاء . المالك الغنى « بنك متحرك » لا عمل له ولا نفع يرجى منه . والفلاح المسكين (مستشفى متحرك) يعمل فى الغيط وفى البيت ، من الشفق الى الغسق ، ليخرج من الأرض أطيابها لينعم بها المالك العاطل من كل شئ الا من المال

لا تجد من أرض الهرم إلى أرض الحرم ، ومن المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، فلاحاً أكثر عملا وأقل رزقاً من الفلاح المصرى

توفير المياه الصالحة للشرب لسا كنى الأرياف ومقدار تكاليف تنفيذ المشروعات اللازمة يدعونى الى ذكر اقتراح كنت عرضته على مدير البحيرة فى خلال سنة ١٩٣٢ وكررته على الحكومة فى سنة ١٩٣٦ لعل الذكرى تنفع الذاكرين :

« حضرة صاحب السعادة عبد السلام الشاذلى باشا مدير البحيرة

« أجمع الأطباء على أن معظم الأمراض التى تنتاب الأهالى فى مصر سببها فى الغالب عدم صلاحية مياه الشرب . الفلاحون اعتادوا على أن يشربوا مياه الترع بدون أن يعتنوا بترشيحها .

« وتكون المصيبة أطم وأعم فى حالتين .

« الأولى - عند ما تكون مياه النيل خضراء فى ابان التحاريق بسبب كثرة الأعشاب التى تكون فيها ، وعندما تكون حمراء في ابان الفيضان بسبب كثرة الطمى الذى يكون فيها . فالفلاح يشرب المياه كما هى ، بدون أن يعتنى بترشيحها

«الثانية - عندما تنقطع المياه عن الترع في أيام المناوبات الطويلة يضطر الفلاحون الى حفر نقر فى مجارى الترع أو فى مجارى المصارف ، ويشربون ما تنزه الأرض من المياه هم ونساؤهم وأولادهم و بناتهم ودوابهم . وكثيراً ما يكون البعوض فيها كثيراً ، فتنتقل إليهم جراثيم الأمراض الفتاكة .

« لاحظت هذا فى عزبتى الكائنة في منشية ثروت باشا . كما لاحظته أيضاً فى عزب كثيرة مجاورة وغير مجاورة فى مركز أبى المطامير وفى غير مركز أبى المطامير . فى مديرة البحيرة وفى غير مديرية البحيرة

« خطر بفكرى ان (أدق) طلمبة أو طلمبتين أو ثلاث طلمبات لأضمن لأهالى عزبتى المياه النقية . و بالفعل (دقيت) ثلاث طلمبات كانت مياهها عذبة جداً ونقية جداً ، فأقبل أهالى عزبتى وأهالى العزب المجاورة على الشرب منها . ويمكننى أن أؤكد لسعادتكم ان هذه الطلمبات تصرف من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ بلاص أوصفيحة فى اليوم الواحد لعموم أهالى المنطقة .

«وقد ترتب على هذا ان قلت الأمراض كثيراً كما أن الفلاحين والمزارعين وجدوا سهولة كبرى لشربهم وشرب نسائهم وأولادهم و بناتهم ودوابهم

« عندما رأيت نجاح الفكرة استحسنت تعميمها فى العزب وفى البلاد إذا وجدت هذه الفكرة من الحكومة مساعداً ومشجعاً ومنفذاً وانى على يقين بأن تعميم هذه

الفكرة وضمان شرب مياه صالحة للأهالى والمواشى له فائدة عظيمة جداً لا تقل عن فائدة المستشفيات التى أنشأتها الحكومة فى الأرياف . ان المستشفى يكلف الحكومة ٤٠٠٠ جنيه نفقة بنائه علاوة على ١٥٠ جنيهاً أو ١٦٠ أو ١٧٠ أو ١٨٠ جنيهاً شهرياً نفقة معالجة المرضى ومرتبات المستخدمين ومصاريف ادارة مع ان الطلمبة ودقها لا يكلفان أكثر من ١٢ جنيهاً بدون نفقة شهرية

« من هذا ترون سعادتكم ان الفرق هائل جداً . وربما كان الأثر الطيب الذى يستفيده الفلاحون من الطلمبة أكثر بكثير من الفائدة التى يستفيدونها من المستشفى . ألم يقولوا ان درهم وقاية خير من قنطار علاج ؟ . فاذا استحسنتم سعادتكم فكرة تعميم دق الطلمبات فى عموم بلاد وعزب مديرية البحيرة - كل واحدة بنسبة الأهالى المقيمين فيها - ونفذتموها خدمتم الاهالى خدمات تشكرون عليها أبد الدهر

«وحبذاً لو بدأتم سعادتكم بتعميم هذه الفكرة فى مديرية البحيرة لتكون البحيرة أولى المديريات التى تنتفع بهذا النظام الصحى البديع وتكون سعادتكم أول المديرين الذين عمموا ونفذوا هذه الفكرة وتكونون خدمتم أهالى المديرية خدمة تخلد لكم حسن الأحدوثة بين عموم الأهالى »

وبعد ثلاثة أيام - ثلاثة أيام فقط - ورد الرد وفيه :

« قد اطلعنا على كتاب حضرتكم المؤرخ أول اغسطس سنة ١٩٣٢ الجارى بشأن الطلمبات التى أوجدتموها بعزبتكم وبها يسرتم للزارعين والفلاحين الحصول على مياه عذبة وصافية للشرب بسهولة وبنفقات بسيطة ، وطابتم تعميم ذلك بدائرة المديرية وقد وافقنا على هذه الفكرة وأمرنا بتعميمها فى بلاد وعزب المديرية بقدر المستطاع .

وانا نشكركم على اهتمامكم بمثل هذه المشروعات النافعة التى تعود على الاهالى بأجل الفوائد من الوجهة الصحية »

لم يتسع الوقت للشاذلى باشا لينفذ الفكرة لانه نقل الى مديرية أخرى . ولما لم يهتم أولو الامر بالفكرة أعدت الكرة فى سنة ١٩٣٦ - أى بعد أربع سنوات - فكتبت فى جريدة « الاهرام » (عدد ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٦) مقالة تكلمت فيها على حالة

الفلاح وعددت الاسباب التى تكفل للفلاح ولعائلته صحة جيدة كان أولها نقاء مياه الشرب وها ما قلته فيها بالحرف الواحد

« معظم الأمراض التى تفتك بسا كنى الأرياف من فلاحين ومزارعين سببها الأول عدم نقاوة مياه الشرب . إذا عطش الفلاح مال الى الترعة أو المسقى وشرب. ومياه الترع والمساقى تكون عادة محملة بالمواد العفنة والمواد القذرة والمواد الفاسدة التى تكون عالقة بمياه الترع والمساقى . لايمر أسبوع أو أسبوعان إلا واجد فى الترع التى أمر بها رمة بهيمة . فاذا مادخلت المادة العفنة أو القذرة أو الفاسدة جسم الفلاح فتكت به . وفى ابان التحاريق اعتاد الفلاحون حفر نقر فى مجارى المساقى والمصارف للشرب من النزز ، ونزز المصارف والمساقى فيه جراثيم فتاكة . وإذا مادامت أيام التحاريق أسبوعين أو ثلاثة كانت المياه أقل صلاحية للشرب وأكثر فتكا بأجسام الفلاحين . وعلاج هـذا بسيط جداً : دق طلمبة أو طلمبتين فى كل عزبة . ودق الطلمبة لا يكلف أكثر من اثنى عشر جنيها . وقد استخدمت هذه الطريقة عندى فنجحت نجاحاً تاما . أقبل الفلاحون والمزارعون من العزب المجاورة على أخذ المياه من الطلمبتين اللتين ركبتهما فقلت الأمراض فى المنطقة كلها».

فلو كانت الحكومات التى تعاقبت من سنة ١٩٣٢ الى اليوم عملت بالاقتراح ونفذت الفكرة لكان حال الفلاح اليوم غير ما هوعليه الآن . ولكن عدم استقرار سياسة الوزارات (من سنة ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٧ -أى فى مدى خمس عشرة سنة - تعاقبت ٢٠ وزارة منها ١٤ وزارة لم تعمر إلا بضعة شهور) أدى بنا إلى الحال التى تشكو منها اليوم . حنانيك يارب[1] .

مسكين الفلاح المصرى ، اشق الناس عملاً . أقلهم رزقاً . أكثرهم جهوداً . أتعسهم معيشة . الأرض فراشه . السماء غطاؤه . البتاو والمش غذاؤه . ومن الترعة والمساقى والمصارف ماؤه . امرأته ولود . أولاده جنود . أقل الناس من الحكومة عناية . ومن مواطنيه رعاية . يشتغل فى الأرض . فى بياض اليوم دائماً وفى سواد الليل أحياناً . يعمل كل الأسبوع . طول السنة . فى أيام الجمعة . وفى المواسم . وفى الاعياد.

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة « الاهرام » عدد ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٧

لا يذوق طعم الراحة . لا راحة الجسم ولا راحة البال . أن مرض أو رمد فلا يجد مستشفى يأويه . ولا طبيباً يداويه . يستبدّ به العمدة . ووكيل العمدة . والشيخ . ووكيل الشيخ . والمأمور . والمعاون . والعسكرى . والخفير . لا أعرف فى بلاد العالم فلاحا فى حالة ذلّ ومتربة ومسكنة مثل الفلاح المصرى مع أن الحكومة تجبى من عرقه ومن عروقه ٢٥٨ر٥٧٣ر٥ جنيها سنوياً

ويطيب لى هنا ان أورد ما كتبه الأستاذ الفاضل محمد الصباحى فى جريدة الاهرام تحت عنوان (جاموسة الفلاح) .قال لله دره :

« فكرت وزارة الزراعة فى توزيع جاموس على الفلاحين وعملت على اخراج الفكرة الى حيز الوجود ، فخطت خطوة موفقة فى مكافحة الفقر والمرض فى الريف . ورفع مستوى الحياة فيه . والجاموسة للفلاح كالروح للجسد ، تعينه على فلاحة أرضه ، فهو يزامل بها جاره الذى يملك جاموسة مثله ، وتعطيه الجبن والزبدة لطعامه ، وقطرة اللبن يتغذى بها أطفاله .

«وهذه الفكرة فى الواقع ثورة تأتى من أعلى لتكون وقاية من ثورة تأتى من أسفل . بل هى حجر الأساس فى بناء جيل صحيح سليم من أبناء الريف ، يعطى للبلاد جنوداً تبقى عدة نافعة فى الملمات ، ورجالا ينهضون بكل مسؤولية ويساهمون في كل ملمة ، ويسايرون تطورات الزمان في قوة وطمأنينة

«ان الذين يدركون الحياة التى يحياها اخواننا الفلاحون فى الريف ، يخجلون من مصريتهم ، ويخجلون مرة أخرى لأن عشرات القرون مرت من غير أن تجد اليد الشفيقة التى تمتد الى هؤلاء البؤساء لانقاذهم من حالة مريرة ، وعيشه قاسية ، وحرمان لا يتصوره على حقيقته إلا من يشاهده

« ويخيل الينا ان المثل القائل « البعيد عن العين بعيد عن القلب» مسؤول عن استمرار هذه الحالة ، فكانت الحكومات تكتفي دائماً بالعناية باصلاح الفاسد الذى يقع تحت بصرها وسمعها وشمها ، وتعنى كذلك بالشكوى التى يتصل بها خبرها فهى انقذت الثروة العقارية وساعدت المدينين ، وهى دائبة الرعاية لطبقة العمال في العواصم .

اما الريف الذى تسمع به الحكومات ولا تراه الا فى زيارة رسمية أو حشود حكومية، فانه متروك لحظه

« ان توزيع هذا الجاموس سيوفر للحكومة الأموال التى تنفقها على مستوصفات الانكلستوما والبللاجرا ، وفقر الدم وسائر الأمراض التى يجلبها فقر التغذية

« ولكى ينجح هذا المشروع يجب أن يقسم تعميمه على سنين معدودة ، وان يكون التوزيع عادلا ومنظماً ومنزهاً عن الوساطة والشفاعة والتميز ، وان توضع له القواعد التى لا تقبل الاستثناء ، ولا تحتمل التأويل

«ان الحكومة انقصت مليما من ثمن الرغيف لكى تضمن للطبقة الدنيا فى العواصم غذاء كاملا ، وفى هذا تخسر الخزانة كل عام ما يقرب من أربعة ملايين جنيه ، فهذه التضحية للتيسير على فقراء العواصم فى عامين يكفى مثلها لتوفير جاموسة لكل أسرة محرومة منها فى الريف ، فان فى القطر أربعة آلاف قرية ، ويكفى أن توزع خمسون جاموسة فى كل قرية لتقضى قضاء مبرماً على الفاقة وعلى الامراض المتوطنة والطارئة فى الريف .

«على أنه يجب أن تكون الأولوية للأسرة المعدمة التى لا تملك أطياناً لأنه قل أن يوجد فلاح يملك فداناً أو نصف فدان ولا يملك معه جاموسة

«ويمكن الاستعانة بالجمعيات التعاونية على مقابلة فكرة وزارة الزراعة فى منتصف الطريق فتساهم بنصف الكلفة كل عام

«وسيترتب على أحكام تنفيذ هذا المشروع الجليل النافع أن تكثر الألبان وتكثر الجلود واللحوم ، ويزداد ايراد البلاد الزيادة التى تساعد على مواجهة مسؤوليات الحياة الجديدة فى المدينة وفى القرية »

نشرت « أخبار اليوم » بأن (معالى محمود حسن باشا لا يزال يبحث عن فتوى قاضى القضاة الذى افتى فيها بأن لا حق لأجنبى فى التملك على مجرى الحوت ، أى مجرى النيل ، وذلك بمناسبة تقرير اقتطاع جزء من حديقة السفارة البريطانية لمد كورنيش النيل) ، وان (معاليه يقول انه لم يقطع الأمل فى العثور على هذه الوثيقة).

وقد روى لى المرحوم السيد حسين صابر الذى كان كاتب اشهادات محكمة مصر الشرعية - وهو ابن المرحوم مصطفى صابر الذى كان برنجى المحكمة الشرعية فى الزمن الماضى - انه لما طلب من قاضى مصر أن يأذن لأحد كتاب المحكمة الشرعية فى قبول اشهاد من نائب الحكومة المصرية - ولعله محافظ مصر فى ذلك الوقت - الى المعتمد البريطانى بصفته نائبا عن الحكومة الانجليزية ببيع الارض القائم عليها الآن مبنى السفارة البريطانية رفض قاضى مصر ، وكادت تحدث وقتئذ أزمة بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية. الا ان المرحوم السيد حسين صابر بدهائه المعروف حل المشكلة بأن أشار باستصدار اشهاد البيع الى غير المعتمد البريطانى وبعد أن تم الاشهاد بالفعل باع المشترى ما اشتراه الى النائب عن الحكومة البريطانية . وبهذه الحيلة انحل الاشكال وقضى الأمر .

بعد نشر هذه الكلمة كتب الىّ أحد الأفاضل يقول : علام استند قاضى مصر عندما رفض الاذن لكاتب المحكمة الشرعية فى قبول الاشهاد من نائب الحكومة المصرية ببيع الارض القائم عليها الآن مبنى السفارة البريطانية فى قصر الدوبارة الى المعتمد البريطانى فى ذلك الوقت

فأقول :

فى خلال سنة ١٨٤٢ أباح محمد على باشا للاجانب تملك الاطيان والعقارات فى مصر . على حين ان تركيا كانت تحرم تمليك الاجنبى شبر أرض فى كافة ولايات السلطنة العثمانية

ولـكن لما نشبت الحرب الروسية التركية فى سنة ١٨٥٤ وهبَّت فرنسا وانجلترا لمساعدة تركيا بجيوشهما وأساطيلهما وانتصرت على روسيا ، انتهزت هاتان الدولتـان الفرصة وطلبتامن ضمن ما طلبتاه - مقابل هذه المساعدة القيمة التى كلفتهما مالا ورجالا - الاعتراف لرعاياها ولجميع الأجانب بحق تملك الأراضى والعقارات فى تركيا ، وقبل السلطان ذلك واصدر فرمانا همايونيا فى ١٨ فبراير سـنة ١٨٥٦ أباح فيه للأجانب أن يتملكوا الاطيان والعقارات فى المملكية العثمانية . وها نص المادة الاولى من الخط الهمايونى (وقد رخص للاجانب أن يقتنوا أملاكا ثابتة فى جميع ارجاء المملكة العثمانية- ما عدا الحجاز - ويتمتعوا بهذا الحق أسوة بالرعايا العثمانيين ويكونوا خاضعين لأحكام القوانين واللوائح السارية على الرعايا المذكورين). وفى المادة الثانية نص على أن (يعامل الاجانب فيما يختص بالأملاك الثابتة التى يمتلكونها فى المملكة العثمانية أسوة بالرعايا وبالخضوع والامتثال لكل القوانين المسنونة للعثمانيين بدون أدنى فرق فيلزموا فى الوقت الحاضر والتى ربما تسن فى المستقبل للتمتع بالعقار ولانتقاله وللتصرف به ولرهنه كما يخضعون لأحكام جميع لوائح الضبط والمجالس البلدية الموضوعة فى الوقت الحالى والتى ربما توضع فى المستقبل فيما يختص بهـذه الأمور) . وقد نص الخط الهمايونى كذلك على اختصاص المحاكم العثمانية بنظر جميع المنازعات التى يكون موضوعها هذه الأطيان وهذه العقارات .

إلا ان تركيا مكرت فأرجأت تمتع الأجانب بمزايا هذا القانون الى اليوم الذى يتم فيه (تصديق الدولة الأجنبية على ما سيعرضه الباب العالى من الاقتراحات فى مسألة الامتلاك)

فيحتمل أن يكون رفض قاضى مصر جاء فى الفترة بين ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦ وهو تاريخ صدور الخط الهمايونى وبين تصديق الدولة البريطانية على اقتراحات الباب العالى واشتراطاته . .

وإذا قال قائل : ولـكن محمد على باشا أباح للاجانب أن يتملكوا الأطيـان والعقارات فى مصر منذ سنة ١٨٤٢ (أى من قبل صدور الخط الهمايونى فى ١٨ فبراير

سنة ١٨٥٦ فعلام استند قاضى مصر فى رفض الاذن لنائب الحكومة المصرية فى بيع أرض مصرية للمعتمد البريطانى .

نقول :

ان قاضى مصر استمد سلطته من السلطان رأساً ، فمن المحتمل أن يكون قد اعتبر نفسه غير مقيد بالقوانين المصرية . فاذا ما رفض الاذن بتمليك دولة أجنبية أرضاً فى مصر كان له ما يبرر تصرفه . اما الحكومة المصرية فكانت حرة فى عدم التقيد بالخط الهمايونى وبالقيد الوارد فى الفقرة الاخيرة منه

ومثل هذا كمثل حق اقامة الاجانب فى تركيا وفى مصر . فان تركيا قيدت دخولهم واقامتهم فى بلادها بقيود كثيرة وأوجبت حصولهم على جواز تركى . وعلى تذكرة نفوس تركية قبل أن تطأ أقدامهم أرض الولايات العثمانية حسب الأصول الواردة فى فرمان سنة ١٨٤٤ ، اما مصر فلم تعمل بالفرمان التركى ولا بالأصول التركية ولا بالأحكام التركية وأباحت للاجانب دخول مصر والاقامة فيها بلا قيد ولا شرط ولم يوضع نظام خاص لهجرة الأجانب فى مصر الا فى سنة ١٨٥٧ ، على ان قناصل الدول الأجنبية لم يراعوا لائحة سنة ١٨٥٧ وسهلوا لرعايا بلادهم دخول مصر والاقامة فيها بلا شرط ولا قيد .[1]

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة « أخبار اليوم »

تنتظر الاميرة أليزابيث وليّة عهد الامبراطورية البريطانيـة حادثاً سعيداً . وفى هذا الحادث ذهبت الظنون فى جميع أنحـاء الامبراطورية البريطانية كل مذهب . تساءل الناس – ولاسيما الانجليز – هل المولود سيكون ذكراً أو أنثى فان كان ذكراً واستوت الاميرة والدته على العرش يكون لقبه أمير ولز Prince of Wales

الحديث ذو شجون يسوقنا الى الكلام على أمرين :

– هل وصـل علم الطب الى معرفة جنس المولود قبل الوضع ان كان ذكراً أو أنثى . وهل وفّق العلماء أن يذكّروا الجنين قبل ولادته .

– ما أصل تسمية ولىّ عهد الامبراطورية البريطانية باسم أمير ولز ؟

١) الطب وصـل الى معرفة جنس المولود – ان كان ذكراً أو أنثى – قبـل الوضع بثلاثة أشهر أو أربعة ولكنه لم يصل الى تذكير الجنين قبل الوضع . وفى أمر تذكير الجنين ذهب العلماء مذاهب شتّى كل يدلى برأى ولكنهم لم يتفقوا ولم يوفقوا .

هذا البحث سبق لنابليون أن بحثه وأدلى فيه برأى أودعه رسالة بعث بهـا فى ٣١ اغسطس سنة ١٨٠٦ الى الاميرة أوجستا بنت ملك البافير Bavière التى تزوجها أوجين Eugène de Beauharnais ابن زوجته الامبراطورة جوزفين . وها الرسـالة بنصّها وفصّها :

"Ma fille, j'ai lu avec plaisir votre lettre du 10 Août. Je vous remercie de tout ce que vous me dites d'aimable. Vous avez raison de compter entièrement sur tous mes sentiments. Ménagez-vous bien dans votre état actuel, et tâchez de ne pas nous donner une fille. Je vous dirai la recette pour cela, mais vous n'y croirez pas : c'est de boire tous les jours un peu de vin pur."

وتعريبها :

(الى بنتى . قرأت بمزيد السرور كتابك المؤرخ ١٠ أغسطس وأشكر لك كلماتك الرقيقة . لك الحق فى أن تعتمدى كل الاعتماد على عواطفى نحوك . لا تجهدى نفسك فى الحالة التى أنت عليها الآن . واجتهدى أن لا تضعى لنا بنتاً . وها أنا أدلك على الطريقة التى

توصلك الى هذا الغرض ربما لا تصدقيها ولا تقتنعى بها . هى أن تشربى كل يوم قليلا من النبيذ الحرّ) .

هذا ما قاله نابليون والعهدة عليه .

* * *

فى خلال القرن الثالث عشر قامت حرب بين كونت لايسستر Comte de Leicester وهنرى الثالث ملك انجلترا انتهت بهزيمة هنرى الثالث وأسره فى معركة لوفيس (سنة ١٢٦٤) إلاّ ان أدوارد (ابن الملك هنرى الثالث) حشد جيشاً حارب به كونت لايسستر وهزمه فى سنة ١٢٦٥ وأطلق سراح أبيه الملك هنرى الثالث وأعاده إلى العرش . ولما توفى والده واستوى هو على عرش انجلترا وتسمى باسم أدوارد الأول (من سنة ١٢٧٢ إلى سنة ١٣٠٧) أخضع بلاد ولز Wales . وفى ٧ فبراير سنة ١٣٠١ أطلق على ابنه أدوارد كارنافورن لقب أمير ولز Prince of Wales ومن هذا التاريخ صار ولىّ عهد انجلترا يعرف بهذا الاسم .

- وكذلك فى فرنسا بعد ما استولى ملوك فرنسا على مقاطعة الدوفينيه Dauphiné أطلقوا على أكبر أولاد ملوك فرنسا لقب دوفين Dauphin وصار هـذا الاسم لقب أولياء العهد بفرنسا .

- ومثلهما أسبانيا اذ لما ضمّ فرديناند الأول الكبير مملكة استوريا سنة ١٠٣٧ الى مملكته أطلق على ولىّ عهد اسبانيا لقب (أمير استورى Prince des Asturies).

- ولما غزا أمنحتب فرعون مصر بلاد النوبة - التى أطلق عليها قديماً اسم بلاد الكوش - سمّى ولىّ عهده (أمير الكوش) .

- ولما غزا نابليون ايطاليا سمّى ابنه وولىّ عهده (ملك روما) عاصمة ايطاليا

- وفى عهد المغفور له الملك فؤاد أطلق على ابنه الأمير فاروق لقب (أمير الصعيد) .

* * *

جاء فى مجلة المصوّر عدد ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٨ ان الأستاذ عبد الرحمن اليبلى بك وزير المالية الأسبق قال قبل سفره الى باريس حكاية عن «الأداة الحكومية» :

(ان الكفايات لا تنقص الموظفين ولا ذنب لهم فيما أصاب الأداة الحكومية من الخلل : إنما الذنب يقع على المسئولين من الحكام . أولئك الذين يضعون الرجل الجيّد فى المكان غير الجيد والرجل غير الجيد فى المكان الجيد . ومن هنا رأينا خريج التجارة العليا يعمل فى وزارة الصحة . وخريج الحقوق يعمل فى وزارة الزراعة . والمهندس الزراعى يعمل فى السكة الحديد . وحامل دبلوم المعلمين يعمل فى مصلحة الرى) .

يذكرنى قول البيلى بك بكلمة جامعة مانعة جمعت بين الايجاز والاعجاز قالها الكاتب الفرنساوى الشهير بومارشيه Beaumarchais (الذى ولد فى سنة ١٧٣٢ وتوفى فى سنة ١٧٩٩) وكانت حالة فرنسا فى ذلك العهد تشبه حالة مصر الآن وتنطبق تمام الانطباق على كلمة الأستاذ البيلى بك . تلك الكلمة هى : (حيث تقتضى المصلحة تعيين شخص مهر فى الحساب يفوز بالوظيفة شخص مهر فى الرقص) .

"Là où il fallait un calculateur, c'est un danseur qui l'obtint."

صدق من قال (ان التاريخ يعيد نفسه وينبس رمسه ويجمع بين يومه وأمسه)

من غريب المصادفات فى الأعداد :

عدد ٢٣ أغسطس

أولا - فى ٢٣ اغسطس توفى سعد باشا زغلول (زوج صفيه هانم كريمة مصطفى باشا فهمى).

- فى ٢٣ أغسطس توفيت درية هانم زكى (شقيقة مصطفى باشا فهمى) .

- فى ٢٣ اغسطس توفيت المغفور لها فهيمة هانم سرهنك (شقيقة المغفور لها صفية هانم زغلول) .

- فى ٢٣ أغسطس توفيت المغفور لها زكية هانم صدقى (شقيقة المغفور لها صفية هانم زغلول) .

- فى ٢٣ أغسطس دفن المغفور له محمد على زكى بك (ابن أخى مصطفى باشا فهمى) .

عدد ٦

ثانياً - وكما ان عدد ٢٣ اغسطس له صلة بعائلة أم المصريين كذلك عدد(٦) كان له حظّ فى حياتها إذ :

- انها ولدت فى ١٦ يونيه سنة ١٨٧٦ .

- وتزوّجت فى ٦ فبراير سنة ١٨٩٦ .

- وكان لها ساعة مستديرة تدور كل (٦) أيام مرّة .

- وفى ٦ يناير سنة ١٩٤٦ كتبت بخط يدها على النتيجة (تملأ الساعة المستديرة) .

- وانقضت الأيام الستة فى يوم ١٢ يناير أى (٦ زائد ٦) سنة ١٩٤٦ .

- وقد وقف والدها المغفور له مصطفى فهمى باشا ٦٠٠ فدان جعلها وقفاً على بناته الثلاث (حرم سعد باشا . وحرم سرهنك باشا . وحرم محمود صدقى باشا) .

- ولما توفيت صفية هانم تركت الـ ٦٠٠ فدان .
- كما تركت ٦٠٠ر٠٠ جنيه نقداً فى البنك .
- وكان استحقاقها فى وقف أطيان زكى ١/٦ ريع الوقف .
- ولما توفى المغفور له على زكى بك - عمّ صفية هانم زغلول - ترك ستة من الأولاد (أربعة ذكور وبنتين) .
- وفى سنة ١٩٢٦ تشرفت المغفور لها صفية هانم زغلول بزيارة جلالة الملكة نازلى وفيها رأت الفاروق لأول مرة . قابلته فقبّلته فجرى مسرعاً وعاد وبيده صورته الكريمة أهداها اليها . فطلبت منه أن يوقّع عليها باسمه . ففعل وكانت أول امضاء وقع به . وهذه الصورة موجودة الآن فى متحف بيت الامة ...!!

ثالثاً - عدد ١١

فى سنة ١٩١٨ وقّع مندوبو المانيا على شروط الهدنة التي فرضها عليهم المارشال فوش Maréchal Foch قائد جيوش الحلفاء :

- فى الشهر الحادى عشر (نوفمبر) .
- فى اليوم الحادى عشر (١١ نوفمبر)
- فى الساعة الحادية عشرة (قبل الظهر بساعة) .

رابعاً - عدد ٢ ديسمبر

- فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٤ توّج البابا بيوس السابع Pie VII فى كنيسة نوتردام Notre Dame بباريس نابليون الأول امبراطوراً على فرنسا .
- فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ انتصر نابليون الأول على روسيا والنمسا وبروسيا فى واقعة أوسترليتس Austerlitz التي يسمونها موقعة الأباطرة الثلاثة Les Trois empereurs
- وفى ٢ ديسمبر سنة ١٨٢٣ أعلن مونرو Monroe رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (الخامس) مبدأه المشهور الذى من مقتضاه عدم تدخّل أمريكا فى شؤون اوروبا ولا تدخل اوروبا فى شئون اميركا .
- وفى ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٨ استوى على عرش امبراطورية النمسا والمجر الامبراطور فرنسوا جوزيف وهو ابن أخي الامبراطور فرديناند الأول ابن

فرنسوا الأول امبراطور النمسا الذى زوّج بنته مارى لويز الى نابليون الاول فى سنة ١٨١٠ .

- وفى ليلة ٢ ديسمبر سنة ١٨٥١ أقيمت حفلة رقص فى قصر الأليزه Elysée فى باريس وبينما كان المدعوون مجتمعين واذا رجال رئيس الحكومة لويس بونابرت(ابن أخى نابليون الأول) ينقضون على عدة جنرالات وعدة نواب من المعارضين ويوثقونهم ثم يشردونهم .

- وفى يوم ٢ ديسمبر سنة ١٨٥١ اجتمع ٢٢٠ نائباً وأعلنوا عزل لويس نابليون من رئاسة حكومة فرنسا إلا ان اورطة من المشاة فجئتهم وقبضت عليهم وزجتهم فى السجون .

- وفى ٢ ديسمبر سنة ١٨٥٢ نودى بالأمير لويس بونابرت امبراطوراً على فرنسا واتخذ لنفسه اسم « نابليون الثالث » ودخل باريس بصفة رسمية بصفته امبراطوراً .

سادساً - عدد ٥٢

فى حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ - احتلّ الالمان بلجيكا ٥٢ شهراً .
واحتلوا فرنسا ٥٢ شهراً [1] .

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة « الاهرام » عدد ٢٤ اغسطس سنة ١٩٤٨

أمس ، تم جلاء الانجليز عن العباسية . واليوم يتم جلاؤهم عن قصر النيل . ومن قبل جلوا عن القلعة وحلوان وهليوبوليس والحلمية وباب الحديد ومصطفى باشا وكوم الدكة والعامرية ووادى النطرون والاهرام والطريق الصحراوى من الكيلو ٢٦ الى الكيلو ٤٠ الى الكيلو ١٨٧ . وبهذا يتم الجلاء عن الوجه البحرى بجملته

يذكرنى هذا الجلاء بجلاء آخر . ذلك انه بعدما هزم نابليون فى واقعة واترلو فى سنة ١٨١٥ وانهارت امبراطوريته الواسعة ، احتل الانجليز وحلفاؤهم فرنسا بعاصمتها ومدنها الكبرى ، وتقرر فى مؤتمر فيينا (عاصمة النمسا) الذى انعقد خلال سنة ١٨١٥ أن يدوم احتلال فرنسا الى سنة ١٨٢٠ وكان رئيس الجيوش المحتلة هو ولنجتون Wellington الانجليزي الذى كان له الفضل فى انتصار الانجليز وحلفائهم على نابليون في واقعة واترلو Waterloo .

بعد خلع نابليون استوى على عرش فرنسا لويس الثامن عشر (وهو أخو لويس السادس عشر الذى أعدمه الثوار فى سنة ١٧٩٢ أثر الثورة الفرنسية المشهورة) وكان للويس الثامن عشر وزير اسمه ريشيليو جمع دهاء السياسى الى حكمة الوزير . وكان بينه وبين ولنجتون ود . فسعى لدى ولنجتون ليتعجل الجلاء قبل موعده بسنتين . وبسعيه اجتمع فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٨١٨ قيصر روسيا وملك بروسيا واميراطور النمسا وريشيليو كبير وزراء فرنسا فى مدينة اكس لاشابيل (عاصمة الامبراطور شارلمان الأكبر) وبعد الأخذ والرد قبلوا مبدأ الجلاء الناجز .

فلما بلغ الوزير ريشليو Richelieu نبأ هذا الجلاء الى شارل العاشر ملك فرنسا طرب طرباً كبيراً وكتب لوزيره « حسبى من الحياة أن عشت ورأيت فرنسا حرة ورأيت العلم الفرنسى يرفرف على جميع مدن فرنسا » ولما اعتلى الوزير ريشليو منبر مجلس النواب ليعلن نبأ الجلاء قال : « ان قلوب الفرنسيين على بكرة أبيهم تهتز طرباً من الأمل بأن لا يعود يرفرف على أرض الوطن علم غير العلم الفرنسى »

ولكن ما من بلد يخلو من الخونة . فانه عندما تقرر مبدأ الجلاء فى اجتماع ٢٠ سبتمبر سنة ١٨١٨ وقبل أن يبدأ الجلاء سعى الكونت دارتوا (وهو أخو الملك وقدخلفه على العرش باسم شارل العاشر) لدى الحلفاء ليؤجلوا موعد الجلاء لاليعجلوه. وكان بين الوزير تاللران والوزير ريشليو عداء مستحكم فأعلن تاللران (انه يعتبر جلاء الحلفاء عن الأراضى الفرنسية أكبر كارثة لا على فرنسا وحدها بل على العالم بأسره)

ونحمد الله على أن ليس فى مصر خونة يسعون سعى الكونت دارتوا Comte d'Artois ويقولون ما قاله تاللران Talleyrand .

* * *

فى سنة ١٣٤٧ احتل الانجليز ميناء كاليه Calais وقلعتها (وهى مدينة فرنسية مقابلة لمدينة دوفر الانجليزية ويفصلهما بوغاز المانش) دام احتلالهم ٢١١ سنة وفى سنة ١٥٥٨ انتزع الفرنسيون مدينة كاليه وقلعتها من الانجليز. فكان لجلاء المحتلين عن كاليه أعمق الأثر فى قلوب الانجليز على وجه العموم وفى قلب ملكتهم مارى تودور Marie Tudor على وجه الخصوص . حتى انها عندما حضرتها الوفاة من جراء شدة الصدمة التي هدت جسمها وزلزلت أعصابها قالت وهي تلفظ نفسها الأخير « اذا شقوا قلبى وجدوا اسم كاليه منقوشاً عليه » .

"Si on ouvrait mon cœur, ou y verrait écrit le nom de Calais ,,

فهل بين جلاء الانجليز عن كاليه فى سنة ١٥٥٨ وجلاء الانجليز عن مصر فى سنة ١٩٤٧ قرابة ؟

اللبيب تكفيه اللمحة الدالة [1] .

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى « الاهرام » عدد ٣١ مارس سنة ١٩٤٧

بلغ عدد طلبات التجنس بالجنسية المصرية ٨١٢ر ٣ طلباً . وفى شهر واحد - هو شهر ديسمبر سنة ١٩٤٧ - بلغ عددها ١٨٥٢ ولا تزال الطلبات تنهال على الحكومة وكل طالب يلح في تعجيل البت فى طلبه .

يذكرنى هذا بما كان يحصل فى الزمن القريب البعيد إذ كان قناصل الدول الأجنبية يتصيدون أصحاب اليسار من المصريين ويحرضونهم على طلب التجنس بالجنسية الأجنبية أو طلب الحماية الأجنبية ليزداد عدد الخاضعين لنفوذهم السياسى وسلطانهم القضائى . وكان كل مصري يوجس فى نفسه خيفة من ظلم حكام ذلك الزمان وأراد أن يأوى الى ركن شديد يلجأ إلى القنصل أو نائب القنصل ليجنسه بالجنسية الأجنبية أو يبسط عليه الحماية الأجنبية فى مقابل أجر معلوم فيخرج من ولاية المحاكم الوطنية ومن سيطرة السلطة التنفيذية .

ومن الغريب أن بعضاً منهم كانوا يعينون وكلاء قناصل فى مدن لا يوجد فيها فرد واحد تابع للدولة التى يمثلونها وبلغت الفوضى فى هذا الشأن درجة لفتت نظر عالى باشا الصدر الأعظم فأرسل فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٦٢ منشوراً الى سفراء الدول يلفت فيه أنظارهم الى الحد من هذه الحالة ولم يكتف بهذا بل استصدر فرماناً شاهانياً بعدم جواز التخلى عن الجنسية العثمانية والانتماء الى دولة أخرى إلا برضاء الباب العالى

وقد ظهر أن كثيراً من المصريين الذين حصلوا على الجنسية الأجنبية أو على الحماية الأجنبية ما كانوا على شىء من المؤهلات السياسية أو العلمية أو الادبية وفشا هذا الأمر فى مصر حتى أصبح تجارة رابحة جر منها السفراء والقناصل مغانم كبيرة .

روى السياح الذين زاروا مصر فى ذلك العهد أن بعض المصريين عينوا قناصل لبعض الدول الاجنبية وما كانوا يعرفون لغات الدول التى يمثلونها وثبت أن بعضهم كان أمياً ، وروت سائحة انجليزية زارت الوجه القبلى أنها عرفت مصرياً فى الأقصر

كان قنصلاً لثلاث دول معاً ، وما كان يعرف لغة واحدة من لغات الدول الثلاث التى يمثلها .

دار الزمان دورته و بعد ٧٥ سنة واذا الاجانب يتهافتون على الجنسية المصرية و يلحون فى طلبها . و بعد أن كان العشرات والمئون من المصريين يتبرأون من الجنسية المصرية و يتجنسون بالجنسية الاجنبية انعكست الآية وأصبحنا نرى الاجانب هم أنفسهم يتبرأون من جنسيتهم الاجنبية ليتمتعوا بالجنسية المصرية .

حقاً ان الدهر دوارى[1] .

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة « الاهرام » عدد ٦ فبراير سنة ١٩٤٨

قال الامام الشافعى ليونس بن عبد الله : « يا يونس أدخلت بغداد ؟ قال ، لا . قال . ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس » . وكان الشافعى يقول : « ما دخلت بلداً قط إلا عددته سفراً إلا بغداد . فانى حين دخلتها عددتها وطناً »

مر بخاطرى هذا الحوار لما زرت المزارع الملكية بانشاص بعد ظهر يوم الخميس أول ابريل مع أعضاء مؤتمر القطن .

٤ر٥٠٠ فدان كانت صحراء جرداء . مواتاً لا حياة فيها ولا ماء . لا دار فيها ولا ديار . فأصبحت جنة تجرى من تحتها الأنهار . فيها ١٤ عزبة يقطنها ٤ر٥٠٠ مزارع. بها ٢ر٠٠٠ دجاجة مع آلات تفريخ حديثة منها ما يسع ١٨ر٠٠٠ بيضة ومنها مايسع ٢٤ر٠٠٠ . فيها ٦٥٠ فداناً موالح و ٣٥٠ فداناً مانجو من أحلى المانجو وألذه وأكبره ، كل مساقيها من الاسمنت . فيها هدارات لتنظيم الرى . فيها حديقة نباتية تضم مجموعة عظيمة من الاشجار الخشبية والفواكه النادرة . . . ويعنى القائمون بادارة هذا التفتيش بتربية أنواع مختلفة من الهجن ، منها السودانى والعربى والهندى . وفى التفتيش سلالة نقية من الخيول العربية . وكان فيه ١٧٥٧ فداناً كلها برك تم اصلاحها وزراعتها . وبردمها تخلصت المنطقة كلها من بعوض الملاريا . ومن أغرب ما فى التفتيش مجموعة من الصبار ندر أن يكون لها مثيل فى العالم . ومما أقيم فيه قصر ومدرسة ومسجد ومتحف وحمام للسباحة وجبلاية للغزلان وحظيرة للنعام ومزرعة للدواجن حوت أحسن الأنواع .

وجملة القول أن من يزر مزارع انشاص الملكية تخطر بباله كلمة ساكن الجنان الخديو اسماعيل العظيم : « لسنا فى افريقيا . أصبحت مصر قطعة من اوروبا »[1].

---

(١) كتبنا هذه الكلمة فى « جريدة الاهرام » عدد ٦ مايو سنة ١٩٤٨

كان دوق دورليان Due d'Orléans ، أخو شارل السادس ملك فرنسا ، أميراً نبيلا فى حسبه ، كريماً فى نسبه ، جميلا فى أخلاقه ، له عقل راجح ، وكلمة نافذة تقربه عند الملك زلفى ، إذا ماحضر مجلساً من مجالس البلاط كانت كلمته هى العليا دائماً

حسده ابن عمه دوق دى بورجونى Due de Bourgogne وأضمر له السوء فتظاهر بالتودد له ، والزلفى اليه حتى يتحين الفرصة لاغتياله . سلط عليه أعوانه فقتلوه غيلة فى ظروف تشبه تماماً فى ظروفها ، وفى مقدماتها. وفى ملابساتها. وفى وقائعها ، الظروف والمقدمات والملابسات والوقائع التى اغتال فيها الصهيونيون الكونت برنادوت

ذهبت زوجته الأرملة الى قصر الملك وهى مجللة بالسواد ، تبكى ومعها ولداها الصغيران ، تطلب من الملك الاقتصاص من القتلة ، فلما وقع نظر الملك شارل السادس عليها وعلى ولديها بكى ووعد بأن يثأر لها من الجناة

شعر دوق دى بورجونى بأن الدلائل التى حامت حوله قويت ، وأصبح معروفاً لدى الناس كافة انه هو المحرض على القتل . أراد أن يخفف وطأة الدلائل والشبه التى تدينه ، ويلطف من سخط العالم عليه ، فحضر جنازة قتيله ، وبكى وترحم واستنزل رحمات الله عليه . غير أن محافظ باريس لم تخدعه هذه المظاهر الكاذبة ، فقال انه ، إذا أذن له الملك فى البحث عن القتلة قبض عليهم ، وزج بهم فى غياهب السجون . نزل هذا النبأ على دوق دى بورجونى نزول الصاعقة فهرب

أما زوجة القتيل فأصابها من هول الفاجعة ذهول ، وكانت تتمتم دائماً وتقول (أصبح لاشىء فى الدنيا يهمنى ، كل شىء فى الدنيا عندى سواء والعدم) :

" Rien ne m'est plus, plus ne m'est rien."

وكان من أثر حزنها على زوجها أن مرضت ، وأخذ المرض يطرد فى الشدة الى أن لبت نداء ربها بعد سنة

* * *

تظاهر أفراد عصابة شتيرين الارهابية بالترحيب بالكونت برنادوت عندما اعتزم مقابلتهم فى القدس يوم الجمعة ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ ، وما كادت سيارته تدخل حى اليهود وإذا أربعة منهم يقتلونه أذرع قتل هو والكولونيل الفرنسى اندريه سيرو André Serot ، وخمسة أشخاص آخرين راحوا ضحاياهم منهم ٣ ضباط فرنسيون و ٧ جرحى .

ترك الكونت زوجة وولدين (كما ترك دوق دورليان من قبل زوجة - هى المليونيرة الامريكية مانفيل Manville وولدين هما : برتيل Bertil واوسكار Oscar). والكونت من سلالة الملوك ، أبوه الأمير أوسكار أخو ملك السويد . كما كان الدوق دورليان من سلالة الملوك ، أخوه ملك فرنسا . ولعل موسى شرتوك بكى لما بلغه خبر اغتيال الكونت برنادوت وزملائه . كما بكى الدوق دى بورجونى من قبل ، وبدل أن يمشى شرتوك فى جنازة ضحاياه كما فعل دوق دى بورجونى ، أناب عنه نائبا صهيونيا حضر حفلة استقبال جثمان القتيلين فى مطار أورلى من ضواحى باريس Aéroport d'Orly

أما حايم فايزمان Haim Weizmann أول رئيس وزارة فى حكومة اسرائيل المزعومة فانه ضحك لما وقع نظره على برنادوت وهو جثة هامدة كما ضحك كرومويل Cromwell لما وقع نظره على راس شارل الاول ملك انجلترا بعد اعدامه

ماذا يفعل يا ترى مجلس الامن ، وماذا تفعل هيئة الأمم المتحدة ، اذا ما مثلت أمامهما أرملة الكونت برنادوت ومعها ولداها ، كما مثلت زوجة دوق دورليان ومعها ولداها من قبل أمام ملك فرنسا ؟ وماذا يفعلان اذا ما مثلت أمامهما أرملة الكولونيل سيرو ومعها أولادها ومثل أمامهما أولاد الضباط الفرنسيين الثلاثة ، وأولاد الضحايا والجرحى الآخرين ، وهم يذرفون الدموع مدراراً ولسان حالهم يردد ما سبق ان رددته أرملة الدوق دورليان « أصبح لا شىء فى الدنيا يهمنا بعد اغتيال زوجنا وعميدنا وعائلنا ، كل شىء فى الدنيا عندنا سواء والعدم » ؟ . هل يأذنان لأحد قواد العرب فى الاشتراك مع من يناط به تحقيق جناية القتل مع حق القبض على المجرمين

ومحاكمتهم ؟ أم يتركان أمر التحقيق لصهيونى تل أبيب فتذهب دماء الضحايا هدراً ؟

لهذا الاشتراك سابقتان تاريخيتان :

الأولى: فى ٢٨ يونيه سنة ١٩١٤ اغتال برنزيب Prinzip (وهو طالب صربى) الأرشيدوق فرنسوا فرديناند ولى عهد امبراطورية النمسا والمجر وزوجته فى مدينة سرايفو Sarajevo[1] عاصمة البوسنة ، فاهتزت امبراطورية النمسا لهذا الاغتيال ، وطلبت من حكومة الصرب - من ضمن ما طلبت - أن تتولى هى تحقيق جناية اغتيال الدوق وزوجته ، على أن يطلق لها سلطة واسعة فيها التحقيق والقبض والحبس والمحاكمة والحكم وتنفيذ الحكم .

الثانية : فى اغسطس سنة ١٩٢٣ أرسلت ايطاليا بعثة الى بلاد اليونان ، فاغتالها بعض المجرمين ، فطلبت ايطاليا الى حكومة اليونان - من ضمن ما طلبت - أن يشترك ضابط ايطالى من كبار ضباطها فى التحقيقات التى يجريها رجال التحقيق اليونانيون .

أليس من العدل أن يشترك عضو من أعضاء مجلس الامن ، أو عضو من أعضاء هيئة الأمم المتحدة ، (والأفضل أن يكون عربياً ينتدبه مجلس الامن أو تنتدبه هيئة الأمم المتحدة) حتى لا يمالئ رجال اسرائيل الجناة وهم منهم وفيهم ؟

ومن يدفع يا ترى دية القتيلين ، وتعويض الضباط الفرنسيين الثلاثة وباقى الضحايا وجميع الجرحى ؟ .

لدفع دية القتيل وتعويض المجنى عليهم ثلاث سوابق تاريخية :

١ - لما قتل صهيونى سكرتير السفارة الألمانية فى باريس ، اعتبر هتلر يهود المانيا كلهم متضامنين فى نتائج الجناية ، ففرض عليهم أجمعين دية قدرها ٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه دفعت على آخر مليم .

---

(١) اسم سرايفو مشتق من كلمة (سراى) كان السلطان محمد الثانى شيدها فيها عندما كانت البوسنة والهرسك ملكا لسلاطين آل عثمان ، وقد احتلتهما النمسا فى سنة ١٨٧٨ ، ولما زارها الارشيدوق فرنسوا ولى عهد الامبراطورية النمساوية وزوجته فى ٢٨ يونيه سنة ١٩١٤ ، انتهز طالب صربى هذه الزيارة واغتالهما ، لانه كان فى نية النمسا ضم البوسنة والهرسك الى الامبراطورية النمساوية على كره من أهل البوسنه والهرسك .

٢ – ولما اغتال اليونانيون رجال البعثة الايطالية طالبت ايطاليا حكومة اليونان بدية الضحايا قدرتها بمبلغ ٥٠ مليون ليرة

٣ – وتضامن الجماعة مبدأ شرعه وعمل به المغفور له محمد على باشا فى مصر ، اذ أنه اذا ادعى أولياء الدم (على أهل البلد بالقتل وأرادوا تحليف ٥٠ رجلا عينوهم منها وحلفوا لهم بشرط أن يقولوا فى اليمين انهم ما قتلوا ولا نظروا من قتل ولا سمعوا به ولا علم لهم به واكتفوا منهم باليمين فحينئذ تجب الدية على أهل البلد جميعاً . وتؤخذ منهم وتعطى لأولياء الدم) . وكانت العقوبات الجنائية فى بعض الجرائم توقع فى عهده (على أخى الجانى عند تعذر توقيعها على الجانى نفسه ، وتوقع على الابن عند عدم وجود الأخ ، وعلى ابن العم عند عدم وجود الابن ، وعلى أحد أهالى البلدة عند عدم وجود أحد من ذوى قرابة الجانى) وأجازوا معاقبة السارق إذا ثبتت التهمة عليه (فان لم تثبت وانحصرت فيه التهمة فقط عوقب . راجع الأمر الصادر بتاريخ ٢١ من شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٥ و (اذا وقعت سرقة بناحية من النواحى وعجز مشايخ تلك النواحى عن ضبط السارق كانوا جميعاً مسئولين ووجب عليهم أن يدفعوا قيمة ما سرق)

وفى زمن الجاهلية كان العرب يأخذون غير القاتل بالقاتل والجماعة بالواحد والرجل بالمرأة والحر بالعبد . وفى بعض الاحيان كانوا يأخذون الانسان بالحيوان إلى أن جاء الاسلام فقرر ان مسؤولية الجانى لا يتحملها إلا الجانى . وفى التنزيل (ولا تزر وازرة وزر أخرى) كما منع مسؤولية الجماعة عن جناية الواحد . كما قرر ان العقوبة تقدر بقدر الجريمة وفى التنزيل (وجزاء سيئة سيئة مثلها . ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)

نعم اليهود فى جميع بلاد العرب بالعدل والامن والهناء والرخاء. كانوا ملاكا وتجاراً وصناعاً وزراعاً ومهندسين ومحامين وأطباء ، اقتنوا الأطيان الواسعة والعمارات الباسقة. جمعوا بين بسطة العيش والجاه والوجاهة . ائتمنهم العرب فى الوظائف كبيرها وصغيرها ودرجوا فيها الى ان وصلوا الى مرتبة الوزراء . منحهم العرب أعلى المراتب وأرفع النياشين. اذنوا لهم فى تأسيس الشركات والبنوك والمعاهد والمعابد والأندية والمستشفيات

والمدارس والفنادق . كل هذا فى حماية القوانين ، ورعاية الحكومة . وسماحة الشعب .

أما فى أوروبا فقد لاقوا الأمرين وذاقوا المرتين . قُتلوا وسُجنوا وعذبوا وشردوا وطردوا من بلادهم بولونيا وروسيا وألمانيا وبلغاريا وما اليها . أليس من مصلحتهم العودة الى ما كانوا عليه فى بلاد العرب آمنين . أليس هذا أعود عليهم وقد عرفوا من آلاف السنين أن سلائق العرب ، وآداب الاسلام ، كلها عدل ورحمة وحلم ونخوة وسماحة وشجاعة ومروءة وكرم حتى انه يجرى التشبيه بهم فيقولون: عدل عمر وكرم حاتم وحلم الأحنف وحكمة لقمان وشجاعة عمرو بن معدى كرب و . . و . .

* * *

ألا فليعلموا ان العرب تقول :

- « ليس لعرق ظالم حق » (والعرق الظالم أن يجيء رجل الى أرض قد أحياها غيره ، فيغرس فيها أو يزرع غصباً ليستوجب به الأرض) وهذا ما فعله الصهيونيون عندما سقطوا فى غير مسقطهم فى أرض فلسطين .

- وتقول أيضاً « لا يجتمع فحلان فى اجمة الاقتل أحدهما صاحبه » فكيف تعيش دولة - وهو اسم على غير مسمى اللهم الا اذا أردنا أن نسمى الأشياء بغير اسمائها ووصفنا اسرائيل بهذا الوصف تجوّزا - لا تزال جنينا فى ضمير الغيب ، فى وسط سبع دول عربية عريقة فى الحضارة اقدامها رسخت فى فلسطين من آلاف السنين . اما جوار فلا اذ ليس بعد حرق الزرع جيرة . اما اخاء على طريقة قابيل وهابيل فهيهات هيهات ، والا كانوا مع العرب كشقى مقص تجمعتا على غير شىء سوى التفرقة .

- كما قالوا « نصف بيت خير من لا بيت » ونصف بيت فيه معنى الضيافة ولا بيت معناها الطرد والتشريد .

- وأخيراً قالوا « اخر الدواء الكى » وقد ذاقوا الكى فى بلادهم الأصلية ، وسيذوقونه عن يد العرب فى فلسطين . ألا ترى انه لما أغار سفيان بن عوف الأسدى وهو أحد بنى غامد ، قبيلة باليمن ، على الانبار وقتل حسان البكرى عامل

على بن أبي طالب عليها ، خطب الامام على فى جمع حافل بأنصاره ومريديه وقال : « فوا عجباً من جد هؤلاء فى باطلهم وفشلكم عن حقكم . . أيُغار عليكم ولا تغيرون ، وتُغزون ولا تَغزون ويُعصى الله وترضون . . »

فما أشبه الليلة بالبارحة

يا عقلاء اليهود « الحلال بين والحرام بين » أنتم اخواننا فى الوطن والوطنية . انصحوا الصهيونيين الارهابيين اعداءكم واعداءنا ، بترك أوهامهم وأحلامهم ، ليكونوا اخواناً لكم ولنا . اليست العبرية فيها العربية ، والعربية فيها العبرية ، اتحدتا قالباً فلتتحدا قلباً (١)

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة « الاهرام » عدد ٤ اكتوبر سنة ١٩٤٨

يدعى الصهيونيون أن فلسطين وطنهم وأن أهلها منهم وان العرب دخلاء عليها وعليهم . فهل هذا صحيح ؟ . اسمع واحكم :

غزّة - ولد فيها الامام الشافعي والامام الشافعي هو محمد بن ادريس وهو عربي قرشي . رحل الى الامام مالك وأخذ عنه العلم ثم وفد الى بغداد ولقي علماءها ثم جاء الى مصر سنة ١٩٩ وسكن الفسطاط وفيها توفي ودفن في مدفنه المعروف بالامام الشافعي سنة ٢٠٠

وفي غزّة تألفت الحكومة الجديدة وأعلنت استقلال فلسطين واعتبارها وحدة لا تتجزأ .

عسقلان - ولد فيها القاضي الفاضل وهو أبو علي عبد الرحيم البيساني من أصل عربي . وقد حضر الى مصر ثم قصد الاسكندرية ولزم قاضيها (ابن حديد) ولما نبغ استدعاه (الظافر) الخليفة الفاطمي الى القاهرة . ولما أسقط صلاح الدين الايوبي الدولة الفاطميّة اتخذ القاضي الفاضل وزيراً ولثقته به كان اذا خرج لمحاربة الصليبيين أنابه عنه في أمر المملكة وقد ساس الامور خير سياسة[1] . وهو الذي أنشأ في القاهرة (المدرسة الفاضلية) وكان بها خزانة كتب تحوي ١٠٠ر٠٠٠ مجلد وقد توفي في القاهرة في سنة ٩٥٦

الرملة - من أهل الرملة من بلاد فلسطين أبو الفتح محمود بن الحسين . خدم سيف الدولة ابن حمدان ولقب نفسه بكشاجم . سئل عن ذلك فقال :

---

(١) ولما عاد بعد انتصاره قال كلمته المشهورة « لا تقولوا اني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم القاضي الفاضل » . يقابلها الكلمة الشهيرة الاخرى التي قالها فردريك الثاني ملك بروسيا :
"C'est le maitre d'école qui a gagné la victoire"
وبهذا المعنى قول أمير الشعراء احمد شوقي

كاد المعلم أن يكون رسولا ... يَبْنِي ويُنشئ أنفساً وعقولا

الكاف من كاتب
والشين من شاعر
والألف من أديب
والجيم من جواد
والميم من منجم
وكان كذلك .

فقول الصهيونيين بأن فلسطين ليست عربية وأن أهل فلسطين ليسوا من العرب قول بعيد عن الواقع بعد الكذب عن الحق . هذا من جهة .

* * *

عاش اليهود دائماً مع العرب فى وفاق . ففى العصر الجاهلى كان فى جزيرة العرب مستعمرات يهودية من أشهرها يثرب - وهى التى سميت بعد هجرة النبى بالمدينة المنورة - عاشوا فيها فى وئام بين قبيلتى الأوس والخزرج . وفى ضواحى المدينة كانوا فى فدك وفى خيبر . وكان يهود يثرب ثلاث قبائل بنى النضير و بنى قينقاع و بنى قريظة . وقد انتشروا فى اليمن أيضاً واشتهر منهم (ذو نواس) أحد ملوكهم . كما انتشروا فى كندة وكنانة واشتهر من شعرائهم السموأل ابن عادياء .

و بعد ظهور الاسلام ظل اليهود متمسكين بدينهم فأقرهم النبى على دينهم وأمنهم على أموالهم واكتفى بأن اشترط عليهم أن لايعينوا أعداء المسلمين عليهم وأن يدافعوا عن المدينة كما يدافع المسلمون وعلى اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . فهل يحق لليهود الآن و بعد ١٣٦٧ سنة أن يدعوا أن (مدينة) الرسول وفدك وخيبر و بعض بلاد اليمن هى لهم الآن بدعوى انها كانت مستعمرات لهم فى غابر الزمان ويجب أن ترد اليهم ؟ .

نعود الى غزّة وعسقلان والرملة وغيرها . ماذا كانت من ألفى سنة :

غزّة - استولى عليها اسكندر الأكبر بعد أن حاصرها شهرين وكان حاكمها بتس Bétis قد دافع عنها دفاع الأبطال ولم تسقط فى يد اسكندر المقدونى الا بعد أربع هجمات عنيفة . وقد كانت مركز مطرانية مسيحية للروم والأرمن ثم دخلت فى

حوزة الرومان فى سنة ٣٣٢ قبل ميلاد المسيح الى أن استولى عليها العرب فى سنة ٦٣٢ ميلادية (أى من ١٣١٦ سنة) ثم تداولها سلاطين مصر وسلاطين آل عثمان الى سنة ١٩١٨ . فأين كان اليهود طوال هذه السنين ؟ .

عسقلان - عرفت الرخاء فى زمن العرب حتى ان المؤرخين سموها « عروس الشام » . ملكها الاغريق ثم الرومان ثم العرب ثم استولى عليها الصليبيون فى الحرب الصليبية الأولى وأنشأوا فيها أبرشية وصارت مدينة مسيحية فى سنة ١١٥٣ ودخلت فى دائرة مملكة أورشليم تحت حكم جودفروا دى بويون الثالث ملك أورشليم Godefroy de Bouillon, roi de Jérusalem, الى أن طردهم منها صلاح الدين الأيوبى فى سنة ١١٨٧ .

الرملة - تأسست فى سنة ٧١٦ وقد أنشأ الصليبيون فيها أبرشية وبقيت تحت حكم الصليبيين الى أن ردها صلاح الدين الى العرب ثم ملكها المماليك ثم آلت الى آل عثمان .

بيسان - يرجع تاريخها الى عهد تحوتمس الثالث وامينوفيس الثالث وسيتى الاول ورمسيس الثالث (أى فى المدة بين سنة ١٥٠٤ وسنة ١١٦٦ قبل ميلاد المسيح)

اذن فلسطين كانت جزءا من المملكة المصرية القديمة من ٣٤٥٠ سنة

ومن المصادفات الغريبة جداً ان هجوم الصليبيين على القدس بقيادة جود فروا دى بويون Godefroy de Bouillon, roi de Jérusalem وقع فى ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩ فى الساعة الثالثة بعد الظهر وهذا اليوم بالذات وهذه الساعة بالذات توافق اليوم والساعة التى توفى فيها السيد المسيح من قبل بألف سنة و ٩٩

فأين كان اليهود طوال هذه الأحقاب من فلسطين الضيقة ؟ كانوا فى بولونيا وروسيا وألمانيا وبلغاريا وأمريكا وغيرها من بلاد الله الواسعة .

* * *

فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ (أى قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى بسنة) استصدر اليهود من مستر بلفور وزير خارجية انجلترا وعدا بانشاء وطن قومى لهم فى فلسطين .

وفى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ (أى بعد ثلاثين سنة) قرر مجلس الأمن تقسيم فلسطين بين العرب والصهيونيين .

وفى ١٦ مايو سنة ١٩٤٨ انتهى الانتداب البريطانى على فلسطين .

وفى أول اكتوبر سنة ١٩٤٨ أعلن العرب فى مدينة غزّة استقلال فلسطين واعتبارها كلها وحدة لا تتجزأ .

كانت النتيجة أن لا العرب قبلوا التقسيم اطلاقاً ولا اليهود قبلوا التقسيم بالحدود التي عينها مجلس الأمن ونشب القتال بين الفريقين ولا يزال ناشباً حتى الآن على الرغم من الأمر بوقف القتال [1] وكانت آخر فاجعة اجتراء رجال عصابة شترن الارهابية الصهيونية على اغتيال الكونت برنادوت السويدى الذى يمثل ٥٨ دولة واغتيال الكولونيل سيرو الفرنساوى الذى كان يعاونه فى تأدية مأموريته . وقتل وجرح آخرين ولا يزال الخصمان حتى الآن مشتبكين فى أورشليم وفى غير أورشليم . قتل وجرح وتخريب وتشريد وهرج ومرج وسلب ونهب على مرأى من مندوى هيئة الأمم المتحدة ومسمع من رجال ٥٢ دولة . والكل عاجزون عن وضع حدّ لعدوان الارهابيين الصهونيين على العرب وعلى البلاد العربية . ولعلّ أبلغ نعت لعصابة شترن Stern ما نعتهم به الدكتور رالف بونش Dr. Ralph Bunche نائب وسيط هيئة الأمم المتحدة عندما قال انهم Gang Stern (Gangster أى بلطجية مجرمين) بدل (Bande Stern عصابة شترن) وفى تقرير آخر قال انهم (عصابة مجرمين Une bande de criminels.) .

اما دولة اسرائيل المزعومة فاصدق وصف لها انها (L'ombre d'un nom) أى (خيال اسم) .

***

أنا لا أكره اليهود بل أكره الصهيونيين وفرق بين الاثنين وقد قلت غير مرة:

"Je ne suis pas antisémite, mais je reste antisioniste, ce qui n'est pas la même chose."

---

(١) وفى هذا قال مسيو أندريه موتر André Mutter أحد أعضاء لجنة الشئون الخارجية بفرنسا :

"C'est ainsi que les Arabes et les Juifs rejettent aujourd'hui le rapport Bernadotte. Le partage, c'est la guerre continuelle, c'est l'asphyxie cruelle."

هل فلسطين في حرب ؟ . كلا . لأن الأمر بوقف القتال لا يزال قائماً . هل هي فى حالة سلم ؟ . كلا. لأن الدبابات والمدافع والبنادق والطائرات لاتزال تدوّى وتعمل عملها الخرّاب . قتل وضرب وتدمير وتخريب وتشريد ولا يزال ٧٦٦ر٠٠٠ فلسطيني عربي مشرّد خارج بلاده[1] تفتك بهم أمراض السل والتيفوئيد والملاريا.

(١) — وهذا آخر احصاء :

١٩٦ر٠٦٠ في شرق الاردن ورام الله والقدس واريحه
١٩٤ر٢٠٠ في المنطقة التى يحتلها الجيش المصرى بفلسطين وبالقنطرة
١٢٢ر٠٧٢ في لواء السامرة والمنطقة التى يحتلها الجيش العراقي (نابلس وطولكرم وجنين)
١٢٠ر٠٠٠ في سوريا
١١٧ر٠٠٠ فى لبنان
٤ر٠٠٠ في بغداد
٣ر٠٠٠ فى القاهرة

ومن هؤلاء جميعاً حوالي ٧٥ ٪ من النساء والاطفال . ينفق على المحتاجين منهم ٤٢ر٠٠٠ جنيه في كل يوم . وتعاونت جميع الدول العربية على مدهم بالمأكل والملابس وبالمعالجة وانضمت اليها حكومات فرنسا وبريطانيا واليونان وسويسرا وايطاليا والنرويج وتركيا وبورما واستراليا وجنوب افريقيا ومؤسسة الشرق الادنى والصليب الاحمر اليونانى والخدمة الكنسية وهذا عدا ماترسله اليهم ايرلندا واندونسيا ونيوزيلاندا وبلجيكا

وقد قرر مجلس الامن مدّ هؤلاء البؤساء بمبلغ ٦ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار اعانة لهم

وفى الوقت نفسه تدرس اللجنة الاقتصادية والاجتماعية فى هيئة الامم منح العرب اللاجئين ٢٩ر٥٠٠ر٠٠٠ دولار.وشركةالنفط العراقية والشركات المندمجة فيها أرسلت إليهم ١٨٠ ألف غطاء. وأخذ المكتب العربى فى لندن يتلقى ملابس وأغطية وأموالا وهدايا تلبية لنداء الذى أصدرته لجنة فلسطين التابعة لرابطة الطلبة العرب . واشترت لهم هيئة رعاية الأطفال الدولية ١٦٠ر٠٠٠ بطانية . وتُبذل جهود للحصول على ملبوسات من النمور تكفى لنصف مليون لاجيء مع الحصول على ٤ر٠٠٠ طن من دقيق القمح شهريا . واللجنة الدولية للصليب الاحمر جمعت ٢٥٠ر٠٠٠ دولار لتنفق فى أعمال الاسعاف وشراء المهمّات والأدوات الطبيّة . وجمعية الصليب الاحمر الامريكية جمعت ٣٠٠ر٠٠٠ دولار واشترت موادا مختلفة بمبلغ ٥٠ر٠٠٠ دولار لاغاثة اللاجئين . كل هذا يدلك على هول الفاجعة التى نزلت باللاجئين العرب كما يدلك على الشعور العام الذى هز العالم من جراء فظائع الصهيونيين .

ولعل أبلغ نداء ما نشره صاحب السيادة الأسقف أرثر هيوجز معتمد قداسة البابا لدى حكومة جلالة ملك مصر فى جريدة (هيرالد الكاثوليكية) ناشد فيه العالمين القديم والجديد بأن يمدّوا يد المساعدة للاجئين العرب الذين شرّدهم الصهيونيون من وطنهم فلسطين . قال فيه وما أصدق ما قال :

« ان حالة ألف ٦٠٠ر٠٠٠ لاجيء عربى بلغت حدّ الكارثة . ان البلاد العربية ضحت كثيراً ولا تزال تضحى أكثر لاغاثتهم الا أن الأمر يفوق مقدرة أحسن المحسنين كما يفوق مقدرة ميزانية بلادالشرق الاوسط ويحتاج لمعونة دولية ذات نطاق واسع من جميع البلاد »

الأطفال منهم أصيبوا بالكساح والهزال وما اليها من الأمراض الخبيثة . حالتهم سيئة جداً وتتطور من سيء الى أسوأ . اذن لا حرب ولا سلم بل (هدنة على دَخَن) - أى سكون لعلة لا لصلح - لأن قرار التقسيم لم يرض العرب لأنهم لايرضون بتقسيم بلدهم و باشراك الأجنبي معهم . ولم يرض الصهيونيين لأنهم يريدون نصيب الأسد. حسبك أن تعرف انهم يريدون اسكان مليون يهودى فى « النقب » وحدها كما يريدون انتزاع « العقبة » من مصر لتكون منفذاً لتجارتهم فى الشرق الاقصى و بعد ماترسخ أقدامهم فى فلسطين وفى النقب وفى العقبة يسيطرون بعد توالى الزمن على البحر الاحمر و يهددون الحجاز واليمن والحبشة .(١)

«سلوا أين ذهبت ألـ ٠٠٠ر٠٠٠ر١٢ دولارالباقية من الحساب الذى اعتمدته جمعية (الا نرا ourai) للرعاية والتعمير . ولماذا لم يستخدم هذا الرصيد لمساعدة اللاجئين العرب . فاذا سألتهم كشف لك الجواب عما لا يزال فى طى الكتمان . أن خمس عدد اللاجئين هم من المسيحيين فكانت النتيجة ان اصبحت المناطق الكاثوليكية بلا دار ولا ديار . خذ مثلا ما حدث فى حيفا فان اليهود يرتكبون الفظائع على الكنائس والأشياء المقدسة والصلبان وتماثيل العذراء . والدير البطريركى فى «بيت حالا» احتله اليهود بعد أن ضربوه بالمدافع . وأملاك الاباء الروحانيين السالزيين ضربت بالمدافع أيضاً فجرح بعض الرهبان . وقد أكد لى أمس قسيس فلسطينى ان اليهود يبدون بنوع خاص كراهية للمعاهد الكاثوليكية

« ان عدم وضع حل سريع لمشكلة فلسطين والمراقيل الموضوعة لعودة اللاجئين الى بلادهم أمر مقصود ومدبر عمداً من قبل اليهود لاستئصال شأفة العرب والمسيحيين من فلسطين .

«أنى أريد أن ألفت أنظار القراء الى ان فصل الشتاء فى فلسطين وفى شرق الأردن قاس جداً من شهر نوفمبر الى أواسط مارس فالحاجة ماسّة لارسال بأسرع وقت الى المشرّدين بطاطين وكساوى وأدوية ومؤونة . وانى أشعر بخيبة أمل أزاء عدم اجابة الجمهور لنداءاتنا . وانى مندهش من عدم اكتراثه لهذه الحقائق وجمود قلبه ورضائه ترك ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ لاجيء من المسلمين والمسيحيين معرّضين للموت الاحمر وللبؤس والشقاء وكلّ هذا ليحلّ محلهم ٠٠٠ر٠٠٠ر٦ يهودى . ان مبادىء الانسانية وأصول الاحسان المسيحية تفرض على الكافّة مساعدة اللاجئين لا فرق بين مسقطهم ودينهم ولا يجوز ترك المسلمين والنصارى الذين يخافون الله أزاء شرذمة من اليهود أغلبهم ملحدون لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . ولو أنى لا أتمنى الشر لأحد الفريقين الا انى لا أبقى مكتوف اليدين امام ما يقاسيه الفريق الآخر من موت و بؤس وشقاء . »

من هذا — ومن هذا وحده — يمكنك أن تقدر هول الكارثة التى حلت بعرب فلسطين من جراء وعد بلفور المشئوم ومن قرار تقسيم فلسطين . ومن نطاعم الصهيونيين

(١) ألم يكتب لورد سيدنهام Lord Seidenham فى جريدة « المورنج بوست » Morning Post فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٣ بان تعهدات لورد اللنبى للشريف حسين لا تتفق مع الواقع وان مصالح العرب لم تراع على الرغم من ان صك الانتداب البريطانى ينص على وجوب احترام حقوق ومصالح العرب . ثم زاد فقال أن أحد زعماء الصهيونيين وهو (اسرائيل زانجويل Israel Zangwill) قد أعلن بأن سياسة الصهيونيين لا تتحقق الا اذا طوى العرب خيامهم ورحلوا من بلادهم واستقروا فى بلاد أخرى — راجع جريدة البورص عدد ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٢٣

تذكرنى هذه الحالة الشاذة التى تجمع بين النقيضين - حرب وسلم ولا حرب ولا سلم - بسابقة تاريخية تمت الى مصر بصلة ولما يمض عليها سوى ٦٦ سنة .

ذلك انه فى خلال شهرى يونيه ويوليه سنة ١٨٨٢ نشبت الثورة المصرية التى تزعمها احمد عرابى باشا فجرت مفاوضات بين انجلترا وفرنسا وتركيا وبعض دول أوروبا لأخمادها . اتفقت انجلترا وفرنسا على أن تتوليا معا قمع القلاقل التى حدثت على أن ترسل كل واحدة منها أسطولا الى ثغر الاسكندرية التى اندلع منها لهيب الثورة فى ١١ يونية سنة ١٨٨٢ . فطلب مسيو فرايسينيه Freycinet كبير وزراء فرنسا من البرلمان اعتماد ٤٠ مليوناً من الفرنكات كما طلبت وزارة انجلترا من البرلمان الأذن لها باعتماد مبلغ ١٫٣٠٠٫٠٠٠ جنيه . وعندما كان الاسطولان فى طريقهما الى الهدف جرت فى البرلمان الفرنساوى مناقشات حادة جداً انتقد فيها بعض النواب تصرفات كبير الوزراء انتقاداً مرًّا وطعن فيه البعض الآخر طعناً مقذعاً.تضاربت الآراء وكثرت الأقاويل . البعض يرى تدخل فرنسا والبعض يحبذ عدم التدخل وساد هرج ومرج فى البرلمان . وبينما البرلمان فى حالة فوضى اشرأب مسيو كليمانسو الذى يسمونه « النمر » وشهرته فى اسقاط الوزارات الفرنساوية معروفة وارتجل خطبة طنّانة رنّانة هزت أركان البرلمان وزلزلت الوزارة زلزالا انتهى بسقوطها . وها ما قاله : « توجد دائماً سياستان الا ان مسيو فراسينيه اخترع سياسة ثالثة . هل نحن فى سلم ؟ . كلا . بما أننا نرسل جنوداً الى مصر . هل نحن فى حرب ؟ . كلا . لانه من المفهوم ان الجنود لا يحاربون . اذن لا سلم ولا حرب . أو انه سلم حسب هوى من يريد السلم وحرب حسب هوى من يريد الحرب . وهى سياسة جمعت سيئات السياستين المعروفتين وليست لها حسنات احداهما أو كلتاهما » .

وها الأصل الفرنساوى :

" Il y avait deux politiques; M. de Freycinet en a inventé une troisième :" Est-ce la paix? Non pas, puisque nous envoyons des troupes en Egypte. Est-ce la guerre? Pas davantage, puisqu'il est entendu qu'elles ne se battront pas. Ce n'est ni la paix, ni la guerre, ou c'est la paix ou la guerre suivant le goût des orateurs ou des auditeurs. Pour

mieux dire, c'est une politique qui présente les inconvénients des deux autres politiques, et qui n'a les avantages d'aucune."

ألا ينطبق كلام مسيو كليمانسو Clémenceau على حالة فلسطين الآن . هل فلسطين في حالة حرب . كلا . هل هى فى حالة سلم . كلا . فيها سُواى الحرب وليس فيها حُسني السلم .

حنانيك يا ربّ ؟ (١)

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى جريدة « الاهرام » عدد ١٧ اكتوبر سنة ١٩٤٨

obeikandi.com

١٨

سلام على ابراهيم [1]

حروب البطل ابراهيم باشا فى جزيرة العرب ، وفى السودان ، وفى بلاد اليونان، وفي فلسطين ، وفى سوريا ، وفى لبنان ، وفى الأناضول ، وفى كريت ، معروفة بوقائعها وتواريخها . إلاّ أن حياة الرجال العظام كثيراً ما تتخللها حوادث قد تكون فيها من العظات والعبر أكثر مما فى الحرب نفسها، وقد تكون فيها من النوادر ما يكشف عن أخلاق الرجال وخصائصهم ومقوماتهم أكثر من غيرها ، وقد يكون فيها من الفكاهات للقارىء أشبه شيء بالفاكهة للآكل . ولنرو هنا طائفة منها :

– هو ابراهيم بن محمد على بن ابراهيم بن عثمان بن ابراهيم . ولد فى «نصرتلى» بدائرة درو القريبة من « قوله » فى خلال سنة ١٧٨٩ ميلادية (سنة ١٢٠٤ من الهجرة) ، وقد حضر إلى مصر هو وأخوه طوسون فى خلال شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٢٠

– وقد ربى محمد على ابنه ابراهيم تربية عالية وثقفه تثقيفاً راقياً . وكان ابراهيم يجيد اللغة التركية واللغة الفارسية واللغة العربية والمامة من اللغة الفرنساوية.وقد قرأ كتباً كثيرة فى التاريخ مقتدياً فى ذلك بأبيه الذى قرأ كتباً على نابليون وغير نابليون . ومن أدبه انه اذا دخل على أبيه قبّل يديه.ولا يجلس إلا إذا أذن له والده في الجلوس . ولا يسمح لنفسه بالتدخين فى حضرة والده

– وكان ابراهيم باشا ديموقراطياً إلى أقصى حدود الديموقراطية . كان يطوف فى شوارع القاهرة والاسكندرية على قدميه ليتفقد أحوال الناس عن كثب . وكان يدخل المحلات التجارية الافرنجية والبلدية ويشترى منها ما يشاء . ولما رأى أسعار الخضر والفواكه عالية أمر بتسعيرها لتكون فى متناول الطبقات الفقيرة . وكان يزور

---

(١) هى الكلمات الثلاث المنقوشة على خاتم ابراهيم باشا

بنفسه المستشفيات ويواسى المرضى . وهو صاحب الفضل فى تأسيس مستشفى الازبكية وأمر بأن يكون جميع أطبائه من المصريين . وكان ينام على سجادة ويخدمه خادمان فقط . وكان يهوى الزراعة ويبذل جهوداً جبارة لتحسين حال الفلاح المصرى . ألم يقل سعيد باشا أخوه بعد وفاته « يظهر ان الله سبحانه وتعالى لا يريد الخير للفلاح لأن الشخص الوحيد الذى يعنى بأمره هو أخى ابراهيم . . . » . وفى سنة ١٨٣٦ ظهر الجراد فى منطقة حلب وكان بكثرة تنذر بالفتك بزراعة الفلاحين فشمر عن ساعد الجد وعهد إلى ٨ أورط من المشاة لابادته . وبعد عودته من اليونان خلع العمامة ولبس الطربوش فاقتدى به الموظفون والمستخدمون . وهو الذى أبطل عقوبة الاعدام وأمر بأن لايحاكم أى شخص إلا بعد سماع دفاعه

— فى رمضان سنة ١٢١٤ سافرت المغفور لها والدة ابراهيم باشا إلى الحجاز لتؤدى فريضة الحج وتزور الروضة النبوية المطهرة وكان ركبها مؤلفاً من ٥٠٠ جمل تحمل خدمها وحشمها ومتاعها . وفى « منى » التقت بزوجها محمد على باشا الكبير . وبالنظر لجلال موكبها وعظمة الحرس الذى كان يحرسها وفخامة الخيمة التى نزلت فيها سماها أهل الحجاز « ملكة النيل » .

— وفى ٣ سبتمبر سنة ١٨١٦ اعتزم ابراهيم باشا السفر إلى بلاد العرب لقمع ثورة الوهابيين وقبيل سفره ذهب إلى والدته فى يوم ٣ سبتمبر سنة ١٨١٦ ليودعها فعانقته ووضعت بيدها الكريمة فى عنقه عقداً من الجواهر الثمينة وقالت له: «لا تنزع هذا العقد من عنقك لا فى الليل ولا فى النهار حتى تصل إلى الحجاز وتضعه بيدك على ضريح رسول الله » ففعل .

ولشد ما سر بهذه الهدية الثمينة شيخ الحرم وهو أغا حالك السواد . فبسط كفيه إلى السماء ودعا الله جهرة قائلاً :

« أيها النبى الكريم : ها هو ابراهيم باشا بن محمد على قد خر ساجداً أمامك ، وقد قدم إلى ديارنا ليهلك أعداء دينك فأيده يا الله بروح من عندك وهبه القدرة على تأييد شرعك ونصرة كتابك المقدس وتمزيق شمل العصاة الوهابيين » .

وأكمل القائد الشاب هذا الدعاء بقوله :

« أيها النبي الكريم : لقد أعانني الله أنا ابراهيم ابن محمد علي باشا على استرجاع البلدين المقدسين مكة والمدينة . وجئت ضريحك الشريف ضارعاً متوسلاً أطلب المعونة فيما أنا متقدم عليه من الحرب والكفاح . فاجعل اللهم النصر حليفي . ووفقني إلى معرفة مقاصد العصاة . فان أعدائي هم أعداؤك . وأعني على تمزيق شملهم وتشتيت جموعهم فاني ان أدخل سيفي في غمده حتى أفرّق جمعهم » .

ثم تملكت ابراهيم روح الحماس الديني فأقسم « أنه يعتق جميع من ملكت يمينه من الأرقاء بيضاً أو سوداً » .

- وبعدما انتصر ابراهيم على الوهابيين عاد إلى مصر ونزل في سراي شريف بك الكائنة بجزيرة الروضة (وشريف بك هذا هو السيد محمد شريف باشا الكبير ابن هاويش هانم (حواء) اخت حرم محمد علي باشا الكبير وهو مدفون في مدافن العائلة وقد حضر إلى مصر وعمره ١٨ سنة) . وفي اليوم التالي - وكان يوم جمعة - دخل ابراهيم مدينة القاهرة باحتفال عظيم جداً وقد أراد والده محمد علي باشا أن يختص ابنه ابراهيم وحده بهذا الاحتفال فانزوى في جامع الغوري وأطل من احدى نوافذه ليشاهد بنفسه الموكب الفخم الذي أعد لابنه . فكانت لفتة سامية من الأب إلى الابن

— كان السلطان محمود خطر بباله - ليزيد جنوده حماسة - أن يتولى هو بنفسه قيادة الجيش العثماني وأن ينشر بيرق النبي ويعلن الجهاد على محمد علي باشا وابراهيم باشا عندما زحفا على بلاد الاناضول . ولكن المشايخ ورجال المابين أقنعوه بالعدول عن هذه الفكرة بدعوى انه « لا يليق بأمير المؤمنين وسلطان السلاطين أن ينازل تابعاً من أتباعه » .

— لما انتصر ابراهيم باشا على جيوش السلطان محمود واحتلّ يافا في ٨ نوفمبر سنة ١٨٣١ . ثم حيفا في ١٣ نوفمبر سنة ١٨٣١ حضر اليه زعماء قبائل عرب نابلس وطبرية والقدس وقدّموا له الطاعة. فأثار خضوعهم غضب السلطان محمود فجيّش جيشاً جعله تحت امرة حسين باشا . وليزيد حميته وحماسته أصدر له فرماناً بتعيينه والياً على مصر وجدة وجزيرة كريت مكان محمد علي باشا ،فزحف حسين باشا بجيش لجب.

وفى أثناء زحفه على مصر قيل له ان حصانه انقطع عن شرب الماء فأجاب بكل وقاحة (ان حصانه آلى على نفسه أن لا يشرب إلا من ماء النيل) . إلا أن الله وابراهيم خيبا ظنه فانكسر جيشه فى بيلان ولم تطأ قدمه أرض مصر ولم يشرب حصانه قطرة من ماء النيل .

— كان جنود الجيش العثمانى أخلاطاً من الكرد والترك والأرمن واليهود والصرب والبلغار والروم والشوام والعراقيين والالبانيين والفلسطينيين والكثير منهم ما كان مدرّباً وليست له حمية وحماسة الجندى الذى يدافع عن أرض الوطن وكان قواد الجيش العثمانى من غير رجال الحرب وكانوا يتبعون مشورة طائفة من المشايخ الذين كانت لهم عقلية خاصة ورسخت فى نفوسهم عقائد خاصة :

١) حدث انه فى يوم ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ (قبيل وقعة نزيب المشهورة) عبر الجيش المصرى كوبرى نهر مزار ولما أتمّ حركة الالتفاف أشار الضابط الألمانى فون مولتكى على القائد التركى بالتقهقر الى بلدة بير تفادياً من وقوعهم فى الشرك إلا ان السر عسكر حافظ باشا عارض معارضة شديدة فى التقهقر وقال قولته المشهورة : «ماذا يقول عنى التاريخ اذا تقهقرت » وانحاز المشايخ الترك الى رأيه وقالوا « ان الترك لا يولون الأدبار أبداً . يشهد التاريخ أنهم يتقدمون دائماً ولا يتقهقرون » فكانت النتيجة كارثة حلّت بالجيش التركى ووقع معسكر حافظ باشا السر عسكر فى أيدى ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوى وغنم المصريون كل ما كان فى المعسكر من خيام وأثاث ومهمات وأوراق ونقود (٢٤٠٠٠ جنيه) ونياشين وخرط ووثائق وأسلحة وأسر سبعة باشوات و ١٥٠٠٠ جندى . هذه هى نتيجة مشورة المشايخ ونتيجة عقلية السر عسكر .

الحديث ذو شجون يذكرنى بثلاث وقائع مهمة :

الأولى : قبل تلاحم الجيش المصرى بالجيش العثمانى دعا سليمان باشا الفرنساوى كبار الضباط الى خيمته وبعد ما زوّدهم بالنصائح والتعليمات قال لهم : « إلى اللقاء غداً الساعة الثالثة بعد الظهر فى خيمة حافظ باشا » وقد كان . إذ انه بعدما انتصر الجيش المصرى اجتمع كل ضباط الجيش المصرى فى خيمة حافظ باشا ومنها

أرسل ابراهيم باشا إلى على بك برهان خازنداره فى مصر يبشره بالنصر ويقول له : « أكتب اليك هـذه الكلمات وأنا فى خيمة حافظ باشا . . . وقد وجدتهـا كما تركها تماماً » .

الثانية : وصف مسيو فنترينيه Vingtrinier مؤرخ حيـاة سليمان باشا الفرنساوى ابتهاج المصريين بانتصارهم على العثمانيين فى معركة نزيب فقـال انه لما اجتمع الضباط فى خيمة حافظ باشا دخل عليهم ابراهيم باشا وهو يتهلل فرحاً وبشراً وعانق سليمان باشا وقبّله فى جبهته وفى فمـه وصاح قائلاً : « اليوم أُقبّل بطلاً من الأبطال . ان كل ما فى هذه الخيمة من حقه واستحقاقه » .

الثالثة : وبعد ما عاد الجند الذين أرسلهم سليمان باشا لاقتفاء أثر فلول الجيش العثمانى ذهب سليمان باشا الفرنساوى الى خيمة ابراهيم وبمجرّد ما تقابلا قال سليمان باشا إلى ابراهيم باشا : « بارك الله فى سيفك وجعـله قويّاً بتّاراً كما كان اليوم فى نزيب » . فأجابه ابراهيم باشا : « ما دمنا معاً سيكون كذلك يا أخى » ثم تعانقا بين الهتافات والزغاريد .

٢) وقبل اشتباك الجيش المصرى بالجيش التركى فى تلك المعركة هبّت بعض الكتائب التى جنّدها ابراهيم باشا من غير المصريين الى الهروب ليلاً فأشار الضباط الالمان على قواد الترك بأن ينتهزوا الفرصة ويهجموا . إلا أن العلماء والمشـايخ الترك عارضوا بدعوى انه لا يليق بجنود أمير المؤمنين أن يتشبهوا باللصوص ويقـاتلوا فى (ظلمات الليل) . أزاء جمود الجيش التركى صال ابراهيم باشا على الهاربين وأعمل فيهم سيفه كما صوّب سليمان باشا الفرنساوى مدافعه عليهم فعادوا إلى خطوط القتال وهبّت جموعهم على الجيش التركى وهزموه شرّ هزيمة . فتأمل .

٣) وها مثل آخر من عقلية أحد الولاة . خاطب محمد على باشا والى عكا عبد الله باشا بلفظة « والدنا » فحقد عليه عبد الله باشا وقال كيف يخاطبنى بلفظة « والدنا » بينما يخاطب الأمير بشير حاكم جبل لبنان بلفظة « أخينـا » . ولم يفطن أن للسن أحكاماً . صغارة نفس ! .

٤) حتى السلطان محمود كان يلجأ أحياناً الى وسائل تدل « على صغارة نفس ». لما استفحل أمر محمد على واتسع سلطانه وارتفع مقامه أراد السلطان أن يفرق بين الأب محمد على وابنه ابراهيم فلم يجد وسيلة لبلوغ مأربه سوى أن منح ابراهيم لقب (أمير مكة) جزاء له على انتصاره على الوهابيين وطردهم من الحرمين. وكان هذا اللقب أعلى ألقاب الشرف فى سلطنة آل عثمان يقدم صاحبه فى التشريفات على جميع وزراء الدولة وتكون له الرياسة الدينية عليهم جميعاً بما فيهم محمد على باشا نفسه . الا ان هذه الحيلة كانت حيلة مكشوفة فلم يعبأ بها محمد على ولا ابراهيم وظل الابن خاضعا الخضوع كله لأبيه .

مثال آخر : بعد انتصار الجيش المصرى فى معركة نزيب عثر ابراهيم باشا ضمن أوراق حافظ باشا السر عسكر على تعليمات أعطاها له السلطان وفى البند الخامس منها قيل له ان سليمان باشا الفرنساوى غير راض عن الحالة وبما انه أجنبي الأصل فارسلوا اليه ضابطاً فرنساوياً ليستميله الينا .

٥) ولأن محمد على يعرف من أين تؤكل الكتف استعان فى أوائل حكمه للاحتفاظ بسيادته على مصر بالرشوة . كان القبطان باشا رجلا شرهاً ، فلابتزاز بعض المال من محمد على طلب منه أربعة آلاف كيس (عبارة عن ٢٠٠ر٠٠٠ جنيه) وهدد باستخدام نفوذه لمساعدة أحد أعداء محمد على . فلتفادى الاصطدام بالقبطان باشا وبأحد أعدائه وعد محمد على بارسال المبلغ . الا ان القبطان باشا لم يكتف بالوعد فاضطر محمد على باشا بأن يرسل ابنه ابراهيم رهينة الى الاستانة ومعه الهدايا الثمينة وأن يبقى بها حتى يوفى محمد على المبلغ المطلوب ، وعلى ذلك أبحر ابراهيم الى الاستانة فى شهر اكتوبر سنة ١٨٠٦ وبقى بها الى أن سدد محمد على المبلغ الموعود .

٦) كانت الخلاصة ان الجيش العثمانى كان جنوداً بلا قوّاد وقواداً بلا جنود . يذكرنى هذا بكلمة شهيرة قالها يوليوس قيصر Jules César عندما همّ بمحاربة خصمه أنطوان « هيا بنا ننتصر على جيش ليس له قائد ثم ننتصر على قائد ليس عنده جيش »

"Allons vaincre une armée sans général, puis nous vaincrons un général sans armée."

٧) وها حادث يؤيد ما نقول : وقع فرجانى شيخ عرب الهنادى أسيراً فى قبضة الترك فدعاه السرعسكر وسأله رأيه فى الجيش التركى والجيش المصرى فضحك فرجانى

وقال له « أتريد أن أخبرك بالحق . . . . ان معسكر ابراهيم باشا معسكر جنود . اما معسكركم فمعسكر حجاج . . . » .

- ومن ألطف ما يروى ان ابراهيم باشا ابن محمد على دعا بعض الفرنساويين لتناول الغداء معه فى القناطر الخيرية يوم ١٥ أغسطس سنة ١٨٢٤ وكان بين المدعوين الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) وليتان بك (ليتان باشا الفرنساوى) ودى لسبس الفرنساوى (صاحب قنال السويس وكان وقتئذ سكرتيراً لقنصلية فرنسا فى مصر) . وفى أثناء تناول الغداء فطن الحاضرون الى ان ذلك اليوم - ١٥ أغسطس - هو عيد ميلاد نابليون (لأنه ولد فى ١٥ أغسطس سنة ١٧٦٩) فصادفت هذه الذكرى هوى فى نفس ابراهيم باشا فأمر فى الحال بذبح خروف أمام الحاضرين ولما جرى دمه قام ابراهيم وكتب بدم الخروف حرفى م . ن (وهما الحرفان الأولان من اسمى محمد على ونابليون)

- للحطّ من هيبة وصولة محمد على باشا وابراهيم ألف السلطان مجلساً فى الاستانة وكان من أعضائه شيخ الاسلام فاستصدر السلطان منه فتوى بعصيان محمد على وتمرده هو وابراهيم ووجوب خلع محمد على الا ان محمد على لم يأبه بفرمان العصيان والتمرد والعزل واستصدر من الشريف محمد ابن عون أمير مكة فتوى بتكفير السلطان وجواز خلعه . وبهذا تهاترت الفتويان . وفى خلال سنة ١٨٠٦ أراد السلطان التخلص من محمد على فأرسل اليه فرماناً بتعيينه والياً على سلانيك وتعيين موسى باشا مكانه إلا ان محمد على تخلص بدهاء

- كان لابراهيم باشا جواد اسمه « درزى »[1] وقع ذات يوم فى قبضة العدو

---

(١) اعتاد بعض العظماء أن يطلقوا على خيولهم أسماء :

١ — اسكندر الاكبر سمى حصانه بوسيفال (Bucéphale) . ولتخليد ذكراه أبدل اسم مدينة نيابوليس (Neapolis) باسم قواله (Cavalla) ومعناها الحصان . وقواله هذه هى مسقط رأس محمد على باشا الكبير . ولما قتل هذا الحصان فى إحدى وقائع الاسكندر فى الهند شيد مدينة سماها باسم جواده بوسيفال (Bucéphalie) تقع امام مدينة (Clim) (فى الهندستان) . ولما جاءت الدولة البيزنطية سمت قواله (خريستوبوليس) أى مدينة المسيح . لما ضمت اليونان مقدونيا الجنوبية

فقايض عليه ابراهيم باشا بألف ومائتى رأس من الأبل .

- يقول جيزو كبير وزراء فرنسا ان تركيا فقدت فى ثلاثة أسابيع « جيشها وأسطولها وسلطانها » (فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ فقدت جيشها فى وقعة نزيب ، وفى أول يوليه سنة ١٨٣٩ توفى السلطان محمود . وفى ١٤ يوليه سنة ١٨٣٩ استسلم الاسطول العثمانى الى محمد على) .

- حروب ابراهيم باشا كانت حروباً خاطفة . كان الجيش المصرى يزحف بسرعة مدهشة . ألا تراه يحتل ثغر يافا فى ٨ نوفمبر سنة ١٨٣١ . وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٨٣١ (أى بعد أسبوع واحد) يحتل حيفا . ثم يحتل صور وصيدا وبيروت على التوالى . وفى ٥ ابريل سنة ١٨٣٢ يحتل طرابلس . وفى ١٤ ابريل (أى بعد أسبوع) ينتصر فى سهل الزراعة . وفى ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ يحتل عكا . وفى ١٣ يونيه يحتل دمشق . وفى ٨ يوليه يحتل حمص . و بعد يومين اثنين يحتل حماه . و بعد أربعة أيام يحتل حلب . وفى ٢٩ يوليه يحتل بيلان . وفى نوفمبر سنة ٣٢ يحتل قونيه (على الرغم من بعد المسافة بين كل بلد و بلد) فكانت حرباً صاعقة ساحقة ماحقة . تذكرنا هذه السرعة المدهشة بكلمة وصف بها أمير أورانج le prince d'Orange سرعة زحف الجيش الفرنساوى اذ دهش هذا الأمير عندما رأى الجيش الفرنساوى أمامه على ضفاف نهر الايسكو فى سنة ١٦٩٦ قبل أن يستعد هو لقتاله اذ قال « كنت أعلم ان الفرنساوى له ذراع ولكن ما كنت أعلم ان له أجنحة »

اليها بعد الحرب العالمية الاولى قرر المجلس البلدى لمدينة نوله فى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٨ إعادة اسم المدينة القديم إليها فصارت نيابوليس (Neapolis) .

٢ — واشتهر عند العرب كثير من أسماء الخيول ، وربما كانت أعز ما يباع عندهم ، وكانو يرسلونها على الصيد . وقد أقاموا لها السباق ووضعوا الاسماء لخيول الحلبة . منها المجلى ثم المصلى ثم المسلى .

٣ — ومن الوقائع بين قبائل مضر حرب (داحس والغبراء) بين عبس وذبيان . وسببها أن قيس بن زهير العبسى تراهن هو وحذيفة بن بدر الفزارى فى سباق فأجرى الفزارى فرسه الغبراء ، وأرسل العبسى داحساً . فكان داحس السابق لولا كمين — جعلته بنى فزارة — رده قبل أن يدرك الغاية . فادعى كل منهما حق السبق . وثارت من أجل ذلك حرب عوان امتدت نحو اربعين سنة .

٤ — وقد سمى المهدى فرسه (الغضبان) .

٥ — وواشنجتون (Washington) الاميركى الذى انتصر على انجلترا وأعان استقلال بلاده الولايات المتحدة الاميركية ، ثم اختير رئيساً للجمهورية ، سمى حصانه نلسن (Nelson) وهكذا !

"Je savais bien que les Français avaient des bras, mais j'ignorais qu'ils eussent des ailes ,,

- صحب ابراهيم باشا فى حروبه فى فلسطين وفى سوريا وفى لبنان وفى الاناضول عباس باشا ابن أخيه احمد طوسون واحمد باشا يكن ابن عمته وسليمان باشا الفرنساوى ومحمد شريف باشا الكبير ابن أخت زوجة محمد على باشا واحمد المنيكلى باشا واحمد بك أمير اللواء وكلوت بك طبيبه الخاص والخواجه حنا بحرى[1] الذى يقول عنه الدكتور مشاقة فى مخطوطه انه « المرسل من طرف محمد على باشا صحبة ولده ابراهيم معاوناً ومطلق التصرف بترتيب الملكية والمالية ومجالس الشورى وقد باشر اتمام الترتيبات اللازمة بجميع الأيالة على أكمل وجه. لأنه كان من أفراد الرجال المشهورين بالحذاقة وجودة العقل مع غاية الاستقامة بجميع أقواله وأعماله سواء كان بحق مخدومه أو حق الرعايا فأتقن كل ما هو لازم » يعاونه فى كل ذلك الأمير بشير شهاب ونجله الأمير خليل . الى أن قال « و بعد فتح عكا أنعم على يوحنا بحرى برتبة أمير لوا وصار ينعت بحرى بك ». اما مشاقة صاحب (المخطوط) فهو ميخائيل جرجس مشاقة سكرتير الأمير بشير (كما كان والده من قبل) وهو من أهالى راشيا (بالقرب من دير القمر بلبنان) وقد ولد فى سنة ١٨٠٠ وتوفى فى سنة ١٨٨٨ وهو الجد الأعلى للدكتور خليل مشاقة ولأخيه الأستاذ توفيق مشاقة.

- بطولة البطل ابراهيم باشا ذاعت فى أوروبا فسمّاه ساسة أوروبا Le Sabre vivant (السيف الحىّ). وكتب قنصل انجلترا فى مصر الى لورد بالمرستون Lord Palmerston كبير وزراء انجلترا في رسالة مؤرخة ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٣٥ قال فيها ان اسم ابراهيم يفعل فى النفوس فعل السحر Le nom d'Ibrahim semble talismanique وها بعض أمثلة تؤيد كلمة قنصل انجلترا :

- بعد ما احتل الجيش المصرى ثغر يافا ثم ثغر حيفا تقدم زعماء قبائل عرب نابلس وطبرية والقدس وقدموا الطاعة مختارين .

- ولما انتصر ابراهيم على الصدر الأعظم رشيد باشا سلمت حامية خان حصين فوراً بلا قتال .

---

(١) حنا بحرى هذا هو الجد الاعلى للخواجه عزيز بحرى المثرى المعروف .

- حضر الى ابراهيم ٦٠٠ جندى من جنود الأرناؤوط وسلموا أنفسهم وطلبوا التطوع فى جيشه .

- قدم أهل انطاكية خضوعهم وطاعتهم بلا قتال .

- بعد فرار عليش باشا من اللاذقية جاء عسكر كثيرون من الاسكندرونة وسلّموا أنفسهم لابراهيم باشا طائعين مختارين .

- وبعد هذا الانتصار أيضاً أرسل المفتى السيد محمد اثنين من كبار البلدة أحمد افندى والحاج اسماعيل أغا - أخى محمد باشا أحد القوّاد الترك - الى ابراهيم باشا يقدّمون خضوعهم . كما أرسل متسلم بيلان وأخوه مصطفى باشا يقولان لابراهيم باشا « منذ ٢٠ سنة ونحن نود الانخراط فى سلك خدمة عزيز مصر » .

- وقد بلغ ذعر أهالى وحكام أزمير من اسم ابراهيم وفزعهم من اسم الجندى المصرى أن تقدم محمد أغا الى حاكم أزمير وطلب منه باسم ابراهيم باشا تسليم المدينة فأذعن فى الحال وسلم المدينة مع انه لم يكن مع محمد أغا من الجنود المصريين ربع مرباع الجنود الترك ولا عشر معشارهم .

- أرسل السلطان عثمان باشا اللبيب والياً على أيالة طرابلس الشام ولما دخلهاتوجّه إليه ابراهيم باشا بفرقة من عسكره . وبمجرد ماعلم عثمان باشابقدوم ابراهيم باشاهرب .

- كان علو باشا والياً على الشام . جمع عشرة آلاف جندى من الأكراد والشوام وبمجرّد ما التحم جيش ابراهيم مع جيش علو باشا انكسر جيش علو باشا وهرب علو باشا من دمشق فدخلها ابراهيم .

- مدينة حلب فتحت أبوابها لابراهيم باشا بلا قتال .

- استولى ابراهيم باشا على أيالة أطنة بدون حرب . ويقول الدكتور مشاقة الذي كان يصاحب الجيش المصرى (ان الخوف من سطوة ابراهيم شمل كافة البلاد) حتى انه لما سار ابراهيم الى قونيه (هرب محافظها) .

- سار ابراهيم باشا قاصداً أيالة كوتاهية وبمجرد أن علم الحكام بقدومه هربوا فدخل ابراهيم كوتاهية بلا قتال . ويعلل الدكتور مشاقة هذا الهروب بقوله (لأن الرعب ملأ جميع البلاد من شدة سطوته) .

- وكان الفلاحون اليونانيون فى سهول مودن Modon (بلاد اليونان) يقبلون يدى ابراهيم باشا عند ما كان يمرّ فكان يلاطفهم ويقول لهم بلّغوا اخوانكم انى أبوكم وانى لا أقسو إلا على العصاة المتمردين . وهكذا وهكذا .

- لثقة الحكومات بكفاءته ومقدرته قبل السلطان محمود أن يتولى ابراهيم قيادة الأسطول العثمانى والجيش العثمانى مع قيادته الأسطول المصرى والجيش المصرى فى قمع ثورة اليونان. واجتماع قيادة الجيوش البرية والأساطيل البحرية فى قبضة رجل واحد لا يحدث إلا فى الندرة . وكذا لما أرادت فرنسا أن تؤدب داى الجزائر (أى حاكم الجزائر) عرضت على محمد على باشا أن يقوم بحملة تأديبية على بلاد الجزائر وقبل (ملك فرنسا أن يضع كبار رجال البحرية الفرنساوية تحت امرة ابراهيم باشا ليوليه ثقة لم يولها أحداً غيره) . كما ان الفرنساويين قبلوا أن يعهدوا بشؤون الحملة العسكرية الى ابراهيم باشا . ولما أغار الفرس على بغداد وارضروم فى خلال سنة ١٨٢٣ وخربوا قرى كثيرة طلب السلطان محمود من محمد على باشا أن يعهد الي ابنه ابراهيم صد الفرس عن الولايات العثمانية الا ان محمد على اعتذر لانشغال جيوشه فى الحجاز واليمن وكريت .

- وابراهيم باشا هو الجندى المسلم الوحيد الذى استولى على أثينا عاصمة بلاد اليونان حتى ان أدهم باشا سر عسكر الجيش التركى عجز عن الاستيلاء عليها لما شبّت الحرب بين تركيا واليونان فى سنة ١٨٩٦ .

- وقد أسلم على يدى ابراهيم اثنان من كبار الفرنساويين الذين عاونوا نابليون فى حروبه هما الكولونيل آنسلم سيف Anselme Sèves الذى أصبح سليمان باشا الفرنساوى . والكولونيل Mari - وهو من أهالى جزيرة كورسيكا مسقط رأس نابليون - أسلم وأصبح اسمه بكير أغا .

- ومن سموّ أخلاق ابراهيم باشا ما عمله فى الحوادث الثلاثة الآتية :

- لما أسر عبد الله بن سعود زعيم الوهابيين عامله معاملة كريمة تليق بمقامه . حتى انه دعاه لتناول الغداء معه وأجلسه بجنبه .

- لما أسر عبد الله باشا والى عكا أحسن وفادته وعامله معاملة كريمة تليق بمقامه .

- ولما أسر ابراهيم الصدر الأعظم رشيد باشا زان رأسه بهالة من الاحترام والاجلال وراعى مركزه السامى لدرجة انه اعتبره (مجرّد اعتبار) القائد الأعلى للجيش المصرى.

- حضر ابراهيم الى مصر وعمره ١٧ سنة فرباه أبوه تربية شرقية وثقفه ثقافة شرقية . علمه اللغة العربية وكان يؤرخ جميع رسائله بالتاريخ الهجرى . أليس هو القائل (لقد جئت إلى مصر طفلاً ففيّرت شمس مصر دمى وجعلته دماً مصرياً خالصاً) . وكان يعرف من قبل اللغة التركية واللغة الفارسية ثم تلقى مبادىء اللغة الفرنساوية .

وحسب ابراهيم باشا فخراً أنه :

- لم ينهزم فى معركة واحدة من المعارك التى خاض غمارها فى السودان وفى جزيرة العرب وفى المورة وفى فلسطين وفى سوريا وفى لبنان وفى الاناضول وهذا أمر لا يقع إلا فى الندرة .

- انه فى حروبه مع السلطان أسر كثيرين من كبار رجال الدولة . إذ :

- أسر زعيم الوهابيين عبد الله بن السعود فى ١٠ سبتمبر سنة ١٨١٩ — ٩ سبتمبر سنة ١٨١٩ .

- أسر عبد الله باشا والى عكا فى ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ .

- أسر سلحدار كريتلى أوغلو محمد فى ١٨ ديسمبر سنة ١٨٣٢ .

- أسر الصدر الأعظم نفسه رشيد باشا فى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ .

- وهزم ١٦ باشا من باشوات سلطنة آل عثمان منهم ٨ باشوات هزمهم فى ٨ يوليو سنة ١٨٣٢ وهم :

(١) محمد باشا والى حلب سر عسكر .

(٢) عثمان باشا حاكم المعادن .

(٣) عثمان باشا والى قيسرية .

(٤) على باشا والى دمشق .

(٥) محمد الكريتلي باشا .

(٦) نجيب باشا .

(٧) دلاور باشا .

- كما هزم عليش باشا والى قونيه . وصادق باشا والى أطنه . وحسين باشا سردار اكرم (فى ٣٠ يوليه سنة ١٨٣٢) . وخير الدين باشا . وسعد الله باشا. وحافظ باشا (فى وقعة نزيب فى ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩) وسليمان باشا والى مرعش .

- وتوج فوزى باشا الخاتمة بتسليم الاسطول العثمانى لمحمد على باشا .

- لما انتصر ابراهيم باشا على جيوش السلطان محمود عقدت تركيا ومصر معاهدة « كوتاهية » بها بسط محمد على سلطانه على مصر والسودان وبلاد العرب وفلسطين وسوريا وولاية أطنه. فكانت امبراطورية مصرية واسعة الأرجاء تزيد مساحتها على مساحة نصف اوروبا وتزيد ١٥ مرة على مساحة فرنسا . امبراطورية عظيمة تضارع امبراطورية نابليون وامبراطورية الفراعنة وامبراطورية الرومان تمتد من النيل الى الفرات . ومن البحر الأحمر الى البحر الأبيض . ومن فلوات اليمن الى مشارف الشام. ومن المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . ومن كعبة المسلمين الى مقدس النصارى الى مبكى اليهود . امبراطورية جمعت المصرى واليمنى والحجازى والسودانى والعربى والسورى واللبنانى والدرزى والتركى والروسى والأرمنى تحت راية واحدة هى راية مصر الخالدة وتحت صولجان واحد هو صولجان محمد على الكبير .

- لما مرض محمد على باشا وأصبح عاجزاً عن تولى سلطة الحكم فى مصر أصدر السلطان فى ٤ يوليه سنة ١٨٤٨ (الموافق ٢ شعبان سنة ١٢٦٤) فرماناً بتولى ابنه ابراهيم باشا على مصر وأرسل الفرمان الى مصر مع مظلوم بك أحد رجال المابين . وبعدما حضر مظلوم بك وتلا الفرمان امام أعضاء العائلة وامام كبراء وعظماء الدولة سافر معه ابراهيم باشا الى استانبول فوصل اليها فى ٢٤ اغسطس سنة ١٨٤٨ فاستقبله السلطان استقبالاً فخماً وأنزله فى السراى السلطانية فى الجناح الذى نزل فيه والده من قبل . ولما مثل امام السلطان سلّمه البراءة وقلّده نيشاناً رفيع الشأن مثل النيشان الذى ينعم به عادة على الصدور العظام وأهدى اليه صورته مرصعة بالأحجار الكريمة . وبعد أن تمت الزيارة عاد ابراهيم باشا الى مصر على ظهر الباخرة المصرية « بنى سويف » فوصل الى ثغر الاسكندرية فى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٤٨ .

- سافر ابراهيم باشا الى اوروبا مرتين :

مرة فى أوائل اغسطس سنة ١٨٤٥ وكانت حاشيته مؤلفة من ٥٠ شخصاً منهم سليمان باشا الفرنساوى وسامى باشا واسكندر بك (ابن سليمان باشا الفرنساوى) ونوبار بك سكرتيره وترجمانه فقصد مدينة فرنيه الحامات Vernet les Baius فى جبال البرانس Les Pyrénnées ليستشفى بمياهها الكبريتية وفيها استقبلته البلدية استقبالاً فخماً جدا وأقامت له قوسى نصر كتبت على احداهما بحروف من نور :

« الى بطل قونيه ونزيب »

وكتب على الثانية :

« الى ابن محمد على الأمجد »

« الى رافع لواء المدنية فى الشرق »

« إلى صديق الفرنساويين »

« الى البطل المصرى »

وبعد انتهاء المعالجة سافر الى مدينة بوردو ومنها الى مدينة تور Tours ومنها الى باريس فوصل اليها فى يوم ٢٥ ابريل سنة ١٨٤٦ . وفى باريس وقد مكث فيها ٣٤ يوماً زار المتاحف والمعاهد واستقبله ملك فرنسا استقبال الملوك وأسكنه قصر الأليزية فى الجناح الذى سكنه من قبل نابليون الكبير ونام ابراهيم باشا فى ذات السرير الذى نام فيه نابليون . وفى مدة اقامته فى باريس أقيمت له مآدب رسمية كثيرة جداً أولها مأدبة أدبها له ملك فرنسا حضرها حسين بك وحليم بك (حليم باشا فيما بعد) ولدا محمد على كما حضرها معه احمد بك واسماعيل بك (اسماعيل باشا الخديوى) أبناء ابراهيم باشا وكانوا طلبة فى المدرسة المصرية التى كان يرأسها مسيو جومار . وحضر تمثيل رواية فى الأوبرا كما حضر استعراضاً عسكرياً من ٣٠,٠٠٠ عسكرى شهده ٨ أمراء و ٦ أميرات تحيط بهم هيئة عسكرية من ٦٠ جنرالا من كبار القواد وكانت دهشة ابراهيم عظيمة جداً عندما رأى فى ميدان الاستعراض حصانه « درزى » الذى كان يمتطيه فى واقعة « نزيب » . وكان محمد على قد أهداه مع تسعة جياد أخر الى ملك فرنسا فى خلال سنة ١٩٤١ . روى أحد الذين شهدوا

هذا الاستعراض أنه سمع من ابراهيم باشا يقول (ان يوم ٢٥ مايو هو عندى أجمل يوم من أجمل شهر من أجمل فصل من سنة ١٨٤٦) وقال فيه كاتب فرنساوى وما أبلغ ما قال :

" L'Occident n' a pas vu de soldat plus intrépide, plus généreux et plus né pour la victoire. Ouvrez lui le monde, il ira jusqu'au bout,"

ومعناه : (لم تر أوروبا جنديا أشجع منه . ولا أكرم منه . خلق للنصر والنصر خلق له . اذ فتحت أمامه بلاد الدنيا غزاها من أولها الى آخرها) . ثم زار قبر نابليون فى الأنفاليد وقد استقبله فى مدخل الأنفاليد ٢٠٠٠ جندى من الجنود الذين شهدوا حروب نابليون فى ايطاليا وفى أسبانيا وفى ألمانيا وفى النمسا وفى روسيا . وكان معه سليمان باشا الفرنساوى فلما وقع نظر سليمان باشا على قبر نابليون سيده ومولاه أجهش بالبكاء وكاد يغمى عليه . ولزيادة الحفاوة بابراهيم باشا ضربت الحكومة الفرنساوية «مدالية» نقشت عليها صورة محمد على باشا وكتبت عليهـا (محمد على محيي مصر) ولما بارح ابراهيم باشا باريس سلم محافظ المدينة ٥٠٠ جنيه ليوزعها على الفقراء . - ألم تصدق على محمد على باشا وابراهيم باشا الكلمة التى قالها نابليون فى ٢٥ يناير سنة ١٧٩٨ (اذا أردت الشهرة والمجد فعليك بالشرق . الشرق وحده مهد العظمة والعلاء) .

- وفى أثناء وجوده فى فرنسا دعته الملكة فيكتوريا الى زيارة انجلترا فزار انجلترا وايرلندا واسكتلندا وزار بوجه خاص مدينة لندن ومدينة برمنجهام (حيث زار مناجم الفحم والحديد ومدينة مانشستر حيث زار ١٢ مصنعاً للغزل والنسيج وكان معه فى هذه الرحلة سكرتيره الخاص نوبار الذى يجيد اللغة الانجليزية واللغة الفرنساوية واللغة الايطالية واللغة الألمانية واللغة التركية وكان خير معوان له فى رحلته هـذه . وزار مرفأ بورتسموث Portsmouth حيث عاين الترسانة. وفى الميناء طاف بالسفينة الحربية فيكتوري Victori وهى السفينة التاريخيـة التى قتل فيهـا الاميرال نلسون Nelson فى معركة الطرف الأغر Trafalgar . وفى لندن أقيمت له مآدب رسميـة كثيرة . منها مأدبة عشاء أقامتها له الملكة فيكتوريا دعت اليها الأمراء والوزراء والكبراء فاجتمع ابراهيم بالبرنس ألبير (زوج الملكة فيكتوريا) وبالبرنس جورج أوف كامبردج وبالدوق ولنجتون (الذى قهر نابليون فى واقعة واترلو) كما اجتمع باللورد بيل Peel واللود أبردين

Aberdeen ومسترجلادستون . ومن سخرية القدر أنه اجتمع فى المآدب الرسمية التى أقيمت له بالأميرال كودرنجتون الذى حطم الأسطولين المصرى والعثمانى فى نافارين فى ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ عندما كان ابراهيم باشا متوليا قيادة الأسطولين العثمانى والمصرى فى اليونان . كما اجتمع بالسر نابيير Sir Napier قائد الأسطول الانجليزى الذى هدد محمد على باشا بضرب الاسكندرية وضرب بيروت بالفعل وضرب موانىء فلسطين وسوريا ولبنان لاكراه المصريين على التخلى عن لبنان وسوريا وفلسطين . كما اجتمع باللورد بالمرستون Palmerston الذى حرض تركيا على مناوأة مصر وكان من ألد أعداء محمد على وهو الذى سعى لدى السلطان بواسطة سفير انجلترا فى الاستانة بونسونبى Ponsonby واستصدر منه فرمانا بخلع محمد على فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٤٠ . وفى الوليمة التى أقامها له لورد بالمرستون دعا اليها ٢٢ عظيما من عظماء الدولة . وقد تهافتت الشركات الانجليزية وكبار اللوردات الى دعوة ابراهيم باشا الى مآدب كثيرة للاحتفاء به . وفى إحدى المآدب تصادف جلوس الاميرال نابيه بجوار ابراهيم باشا وفى اثناء الحديث مال عليه وهمس فى اذنه « إذا ذهب محمد على إلى القسطنطينية فليحذر من تناول القهوة التى يقدمونها له . . . »

وبعد ما أبحر ابراهيم من انجلترا مرّ على البرتغال ونزل فى عاصمتها لشبونه . وعند نزوله بها علم أن الملكة وضعت ولداً فذهب فى الحال الى الكنيسة وحضر الصلاة التى كانت قائمة شكراً لله . ومن لشبونه أبحر الى قادس فى أسبانيا ومنها الى جبل طارق ثم الى مالطه ووصل الى الاسكندرية فى يوم ٥ أغسطس .

والمرّة الثانية التى سافر فيها ابراهيم باشا الى أوربا كانت للمعالجة . سافر يوم ١٩ اكتوبر سنة ١٨٤٧ ووصل الى مالطه ومنها ذهب الى ايطاليا وفيها زار مدينة بيزا ثم مدينة فلورنسا واستقر به النوى فى مدينة نابولى حيث قضى فصل الشتاء وفيها لحق به والده الذى كان أبحر من ثغر الاسكندرية فى شهر فبراير سنة ١٨٤٨ المعالجة هو أيضاً .

وقد لقى ابراهيم ربه فى رشيد يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ الساعة الواحدة بعد

نصف الليل . بعد ٤٠ يوماً من تسلمه فرمان تعيينه والياً على مصر . أما أبوه فلبث والياً ٤٠ سنة . وقد مات بعد ابنه ابراهيم فى ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩

- أما زوجات المغفور له ابراهيم باشا والى مصر ومستولداته فهن" :

١) خديجة (برنجى قادن) توفيت بالقاهرة فى سنة ١٢٨٧ هجرية - ١٨٧٠ ميلادية . ودفنت بمدفنها بالعفيفى ورزق منها الأمير محمد بك الذى ولد فى سنة ١٢٢٩ هجرية - ١٨١٤ ميلادية وتوفى فى ٧ ربيع الأول سنة ١٢٥٣ الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٣٩ ودفن بالامام .

٢) شيوه كار قادن . توفيت فى مصر سنة ١٢٨١ هجرية - ١٨٦٤ ميلادية . ودفنت بالامام وقد رزق منها بالأمير أحمد رفعت باشا الذى ولد في ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٤١ - ٨ ديسمبر سنة ١٨٢٥ . وتوفى فى شوال سنة ١٢٧٤ - ١٥ مايو سنة ١٨٥٨ فى حادثة سقوط قطار سكة الحديد بكفر الزيات ودفن بالامام .

٣) خوشيار قادن . وقد وقفت أماكن عدّة شرطت صرف ريعها على مسجد الرفاعى . توفيت فى مصر فى ٢١ يونيه سنة ١٨٨٦ ودفنت بمسجد الرفاعى وقد رزق منها بالخديو اسماعيل الذى ولد فى سراى المسافرخانة فى ليلة الاثنين ١٧ رجب سنة ١٢٤٥ - ١٢ يناير سنة ١٨٣٠ واستوى على الأريكة الخديوية يوم ٢٨ رجب سنة ١٢٧٩ - ١٩ يناير سنة ١٨٦٣ وتوفى فى سراى أمرجيان باستانبول فى ٦ رمضان سنة ١٣١٢ - ٢ مارس سنة ١٨٩٥ ودفن بمسجد الرفاعى بمصر .

٤) ألفت قادن . توفيت باستانبول فى سنة ١٢٨٢ هجرية - ٢ مارس سنة ١٨٩٥ ميلادية.ودفنت بالسلطان أيوب . وقد رزق منها بالأمير مصطفى بهجت فاضل الذى ولد فى القاهرة فى ٢٩ شعبان سنة ١٢٤٥ - ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٠ وتوفى فى استانبول في ١٢ شوال سنة ١٢٩٢ - ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ثم نقلت رفاته الى مصر فى خلال سنة ١٣٤٥ هجرية - ١٩٢٦ ميلادية .ودفن بالجامع المسمى باسمه بشارع درب الجاميز بالقاهرة .

٥) كلزار قادن . توفيت فى مصر فى ١٨ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ - ١٩ اكتوبر سنة ١٨٦٥ . ودفنت بالعفيفى ولم يرزق منا أولادا .

٦) ساره قادن . توفيت فى مصر فى ١٤ شوال سنة ١٢٨٦ - ١٧ يناير سنة ١٨٧٠ . ودفنت بالعفيفى ولم يرزق منها أولاداً .

وكان للمغفور له ابراهيم باشا بنتان : الأميرة أمينة التى توفيت فى سنة ١٢٤٥ هجرية - ١٨٢٩ ميلادية . والأميرة فاطمة التى ولدت فى ٢ ربيع الاول سنة ١٢٣٩ - ٦ نوفمبر سنة ١٨٢٣ . وتوفيت فى سنة ١٢٤٨ هجرية - ١٨٣٢ ميلادية . وكلتاهما دفنت بالامام بالصالة الكبرى . ولعلهما رزقتا له من كازار قادن وحدها أو من ساره قادن وحدها أو واحدة من كل واحدة منهما .

أما أولاد ابراهيم الذكور فهم :

الأمير محمد بك — ولد فى سنة ١٨١٤ (سنة ١٢٢٩ هـ) وتوفى فى ١٨١٩/١٢/٢٤ (٧ ربيع أول سنة ١٢٣٥) ودفن بمدافن الامام الشافعى .

الأمير احمد رفعت — ولد فى ١٨٢٥/١٢/٨ الموافق ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٢٤١ . ومات فى حادث سقوط قطار السكة الحديد فى كفر الزيات فى ١٥ مايو سنة ١٨٥٨ أول شوال سنة ١٢٧٤ .

الخديو اسماعيل — ولد فى ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٠ (٢٩ شعبان سنة ١٢٤٥) توفى فى الاستانة يوم ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ (١٢ شوال سنة ١٢٩٢) .

- ولتخليد ذكرى البطل ابراهيم سموا النيل الأبيض باسمه (كما سموا النيل الأزرق باسم أخيه اسماعيل بن محمد على باشا الكبير وهو الذى توفى حرقاً فى شندى) كما سموا بحيرة أو جندا - « الاسماعيلية » باسم اسماعيل باشا ابن ابراهيم

- كما استبدل اسم بحيرة من بحيرات خط الاستواء - وهى بحيرة كيوجا -

باسم « بحيرة ابراهيم » والكونيل لونج Chaillé-Long هو الذى سماها فى ١١ اغسطس سنة ١٨٧٤ باسم بحيرة ابراهيم [١] .

- ولما حفر دلسبس قنال السويس أنشأ اسماعيل باشا ثغراً أسماه باسم أبيه « ثغر ابراهيم » (لم يعمّر طويلاً مثل بور سعيد و بور توفيق و بور فؤاد) .

- وفى سنة ١٨٦٧ أمر اسماعيل باشا بحفر الترعة الشهيرة الآخذة من أسيوط و بعد ما تمّ حفرها سميت « الترعة الابراهيمية » (من منطق نامه لسان اسماعيل باشا باسم والده ابراهيم باشا - كذا) . وطول هذه الترعة ٢٦٨ كيلو متراً كان الغرض من حفرها زراعة المناطق التى تمرّ منها زراعة صيفية . وقد استخدم لحفرها ١٠٠٫٠٠٠ شخص من صعايدة قنا وجرجا وأسيوط وقد عاونه فى حفرها واتمامها بهجت باشا وثاقب باشا وسلام باشا واسماعيل باشا محمد . ولما أقيم مهرجان دخول المياه فى الجزء الأول من الترعة قام بدفع نفقات المهرجان الخواجه ويصا بقطر من أعيان أسيوط .

ولما احتفل حفيده المغفور له فؤاد الأول بالعيد المئوى لاستيلاء جده ابراهيم باشا على قلعة عكا استبدل اسم شارع كامل [٢] باسم شارع ابراهيم .

- كما استبدل اسم ميدان الاوبرا باسم ميدان ابراهيم باشا .

- كما أقام اسماعيل لأبيه تمثالاً كبيراً فى ميدان ابراهيم .

---

(١) وقد سعى صاحبا السمو الاميران محمد على توفيق ويوسف كمال لاعادة اسم « بحيرة ابراهيم » لهذه البحيرة ولم يوفقا حتى الآن فعسى يكون الاحتفال بالذكرى المئوية لوفاة هذا البطل العظيم فرصة مناسبة لتجديد سعى يكلله النجاح.وها ما قاله الجنرال غوردون باشا فى صدد هذه البحيرة:

Pour ceux qui cherchent à savoir comment on est arrivé successivement à la découverte des sources du Nil, devront reconnaitre que la première partie est due à Speke, la seconde à Baker, la troisiéme avec le lac Ibrahim au Colonel Chaillé-Long.-"GORDON"

(٢) قلّ من يعرف من هو كامل الذى سمّى هذا الشارع باسمه . هو يوسف كامل باشا رئيس مجلس الاحكام بالاستانة سابقاً وزوج زينب هانم كريمة المغفور له محمد على باشا الكبير وهو الذى وقف فى ٢٤ شوال سنة ١٢٧٧ بطريق وكالته عن زوجته السرايتين الكائنتين بالازبكية (فندق شبرد الآن) مع الاراضى المحيطة بهما .

واذا كان لابراهيم تمثال واحد فى قلب العاصمة فله عشرون مليوناً من التماثيل فى قلوب عشرين مليوناً من المصريين .

الأب والابن

محمد علي العقل الجبار الرأس المفكر الحزم والسياسة

ابراهيم باشا السيف البتار الذراع المنفذ العزم والشجاعة

فرحمهما الله رحمات واسعة عدد مآثرهما ومناقبهما .[1]

عزيز خانكى

---

(١) كتبنا هذه المقالة فى مجلة (الكتاب) عدد اول نوفمبر سنة ١٩٤٨ لمناسبة الذكرى المئوية لوفاة البطل ابراهيم باشا

كتب المؤلف

١ ــ رسائل فى الوقف
٢ ــ الطعن فى الأحكام بطريق النقض والابرام (ترجمة كتاب مسيو دوهلتس)
٣ ــ قضاء المحاكم فى مسائل الأوقاف (نقله إلى الفرنسية اخى الأستاذ يعقوب خانكى)
٤ ــ خواطر خواطر
٥ ــ ماهنا وماهنالك
٦ ــ مجموعة مذكرات فى بعض قضايا شهيرة
٧ ــ عشر رسائل فى القضاء والتشريع
٨ ــ مسائل قانونية ورسائل شتى
٩ ــ شؤون مصرية ــ طبعة أولى
١٠ ــ » » ــ » ثانية فيها اضافات
١١ ــ قنال السويس
١٢ ــ أحاديث
١٣ ــ أحاديث جديدة
١٤ ــ فرض ضريبة على التركات والهبات والوصايا
١٥ ــ الرق والعتق والولاء شرعاً ونظاماً
١٦ ــ الحكر والوقف والتقادم
١٧ ــ اختلاف الدارين ومتى يكون مانعاً من الإرث ــ وترجم الى اللغة الفرنسية
١٨ ــ معجزة من معجزات الاصلاح الزراعى
١٩ ــ الملكية العقارية فى مصر
٢٠ ــ ديون مصر
٢١ ــ الصورية ووجوب اعتبارها جريمة
٢٢ ــ المماطلة فى الخصومة وعلاجها
٢٣ ــ ترك وأتاتورك ــ ترجمه الى اللغة الفرنسية نجلا الأستاذ جميل خانكى

obeikandl.com

٢٤ ــ قنال فاروق الأول

٢٥ ــ الذكرى المئوية لواقعة نزيب

٢٦ ــ المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية ــ ماضيها ــ حاضرها ــ مستقبلها

٢٧ ــ المحاماة قديماً وحديثاً ــ بالاشتراك مع الأستاذ جميل خانكى

٢٨ ــ التشريع والقضاء قبل إنشاء المحاكم الأهلية

٢٩ ــ نفحات تاريخية

٣٠ ــ حياة اسكندر الأكبر

٣١ ــ نابليون ومحمد على

٣٢ ــ طرائف تاريخية

٣٣ ــ شذرات فى الأدب واللغة والتاريخ

٣٤ ــ خاطرات تاريخية

تحت الطبع

١ ــ الآثار المصرية القديمة

٢ ــ القضاء على المذاهب الأربعة

٣ ــ الأحوال الشخصية لغير المسلمين

٤ ــ محمد على الكبير وذريته

٥ ــ الأمثال السائرة (القانونية والشرعية) بالعربية والفرنسية واللاتينية

٦ ــ لذعات . كلمات . نكات

٧ ــ ٥٠ سنة محاماة

٨ ــ موافقات تاريخية

— L'esprit français dans l'histoire et dans la littérature 9

— Fleurs historiques 10

— Glanes historiques 11

— Mélanges historiques 12

— Portraits politiques 13

— Pensées choisies 14